حلمى مراد يقدم :

من روائع المسرح العالمى

مروحة الليدى وندرمير

ومسرحيات أخرى

١ ـــ مروحة الليدى وندرمير (أوسكار وايلد)

٢ ـــ خطايا الحب (أوسكار وايلد)

٣ ـــ عذراء الغابة (تاجور)

٤ ـــ العدالة (جالزورذى)

٥ ـــ البطل لوسيد (كورنى)

٦ ـــ الحياة نفاق (بيرانديللو)

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقى - الفجالة

هذه المسرحية ..

● إذا غوى الزوج وضل ، هل يصبح من حق الزوجة أن تضل بدورها .. اقتداء به ، أو انتقاما منه وأخذا بالثأر ؟

● هل جميع الرجال أشرار حقا ، وأنذال .. بالنسبة للزوجة الساذجة الغريرة على الأقل ؟

● هل يتحمل الزوج البرىء ، صاغرا ، اتهام زوجته له بالخيانة ، كى يحمى ابنته من الألم النفسى المرير الذى يسببه لها علمها بعار أمها ؟

● هل تنخدع الزوجة الغريرة بوشايات النسوة الثرثارات النمامات اللواتى يحترفن تحريض الزوجات ضد أزواجهن ؟

● كيف تحمى الزوجة المهجورة نفسها من الوقوع فى شراك الهوى الحرام التى ينصبها لها « أصدقاء » الزوج الأنذال ، الذين يحذقون انتهاز الفرص للصيد فى الماء العكر ؟

● من هى المرأة الفاضلة الجديرة بالاحترام . والمرأة الساقطة الخليقة بالنبذ والازدراء ، فى عرف المجتمع .. وعرف الحقيقة ، وبأى مقياس من « الرياء الاجتماعى » يقيس الناس الفضيلة والرذيلة ؟

.. هذه ، وغيرها ، بعض المشكلات الخطيرة التى يعالجها « أوسكار وايلد » فى هذه المسرحية بطريقته الخاصة ، الجريئة ، الساخرة ، السافرة!.. وهى مشكلات «واقعية» متغلغلة فى كل مجتمع، وفى كل زمان ومكان.. ومن هنا كان خلود هذه المسرحية، وخلود أوسكار وايلد!

١

● نحن فى دار شاب من سراة لندن ذوى السمعة الطيبة والأخلاق الفاضلة ، هو « اللورد وندرمير » .. الوقت عصر ، ساعة الشاى التقليدية فى البيوت الإنجليزية .. وقد جلست الزوجة الحسناء « الليدى وندرمير » إلى منضدة فى « غرفة الصباح » بقصرهما ، تنسق بعض الأزهار فى آنية زرقاء .. (يدخل الخادم معلنا قدوم ضيف يدعى اللورد دارلنجتون ، فتأذن له ربة البيت بإدخاله) .

لورد دارلنجتون: (**يلمح مروحة على المنضدة**) يا لها من مروحة رائعة ! هل لى أن أتأملها ؟

ليدى وندرمير : بلا شك . جميلة ، أليس كذلك ؟ إن اسمى محفور عليها ، فهى هدية زوجى لى بمناسبة عيد ميلادى .. إنه اليوم كما قد تعلم .

لورد دارلنجتون: حقا ؟

ليدى وندرمير : نعم ، لقد بلغت سن الرشد ، ولهذا أقمت هذه الحفلة الليلة ..

لورد دارلنجتون: ليتنى عرفت أنه عيد ميلادك . إذن لفرشت لك الشارع كله بالورد كى تخطرى عليه .

● ويمضى فى لهجته فيمطرها بباقة فاخرة من التحيات .. وحين

تقابل مغالاته بالاحتجاج ، يذكرها ضاحكا بأنه يغدق عليها كل تلك التحيات لأنها الشيء الوحيد الذى يملك اليوم أن يغدقه !.. ثم تبدو فى لهجته مسحة الجد وهو ينصح لها بأن تفتح أذنيها وقلبها لغير زوجها من الرجال .

دارلنجتون : فحين يبدأ الزوج فى العبث . ألا تعتقدين أنه يكون من حق الزوجة أن .. تتعزى !

ليدى وندرمير : هل كون الرجل وضيعا ، يبرر أن تصبح الزوجة أيضا وضيعة !؟

دارلنجتون : وصف « الضعة » وصف رهيب . وإنه لمن السخف تقسيم الناس إلى طبقتين : فضلاء وأنذال .. فالناس إما مملون ، يثيرون السأم ، أو جذابون .. وأنت لا تستطيعين يا ليدى وندرمير إلا أن تنتسبى للفريق الجذاب !

ليدى وندرمير : أرجوك ، لا تتفوه أمامى بهذه الأقوال المضحكة .. فأنا امرأة محافظة نشأت فى بيئة فاضلة . وقد ماتت أمى وأنا بعد طفلة صغيرة ، فعشت بعد ذلك مع عمتى « ليدى جوليا » ، أكبر شقيقات أبى .. وقد علمتنى الفرق بين الخير والشر ، والصواب والخطأ .. وهكذا تعودت منذ طفولتى أن أقاوم الإغراء !

دارلنجتون : أما أنا ففى استطاعتى مقاومة كل شيء .. إلا الإغراء !

● وفى هذه اللحظة يقبل الخادم معلنا قدوم « دوقة بيرويك » — وهى صديقة قديمة لأسرة وندرمير — وبصحبتها ابنتها اليافعة « الليدى أجاثا » .. فيستأذن اللورد دارلنجتون فى الانصراف ، بينما تتطرق الزائرة إلى مصارحة مضيفتها بأن عندها شيئا هاما تود الإفضاء به إليها. لكن هذه تمهد له أولا بأن تطلب إلى ابنتها أن تخرج إلى خارج الحجرة بحجة التفرج على « ألبوم » الصور .

ليدى أجاثا : سمعا وطاعة يا أماه ..

الدوقة : وحين تفرغين من رؤية الصور يا ابنتى يمكنك الخروج إلى الشرفة لإمتاع بصرك بمنظر غروب الشمس .

ليدى أجاثا : سمعا وطاعة يا أماه ..

● وإذ تخلصت الزائرة من ابنتها على هذا النحو ، تدخل فى موضوع « حديثها الهام » رأسا :

الدوقة : إنى فى الحق شديدة الأسف لمصيرك يا مرجريت !

الليدى : ماذا تعنين ؟

الدوقة : أوه ، أعنى بسبب تلك المرأة اللعينة .

الليدى : عمن تتحدثين يا دوقة ؟

الدوقة : عن مسز أرلين بالطبع !

الليدى : مسز أرلين ؟! ولكنى لم أسمع بهذا الاسم من قبل يا دوقة !

الدوقة : لكن أهل لندن جميعًا سمعوا بها يا عزيزتى ، وبشغف

زوجك بها !

الليدى : أوه ، لا أصدق !

الدوقة : لكنها حقيقة واقعة مع ذلك يا عزيزتى .. وأسوأ ما فى الأمر أن هذه المرأة تحصل على مبالغ طائلة من المال من شخص ما .. فالمعروف أنها قدمت إلى لندن منذ ستة أشهر خاوية الوفاض ، وهى الآن تقطن تلك الدار الأنيقة فى « مايفير » وتخرج بعربتها المطهمة للنزهة كل عصر .. وكل ذلك ، منذ .. منذ عرفت عزيزنا المسكين وندرمير !

الليدى : مستحيل ، مستحيل يا دوقة !.. فنحن لم ينقض على زواجنا غير عامين ، وطفلنا ما يزال فى شهره السادس !

الدوقة : آه ، يا للطفل الجميل التعس ! من دواعى الحسرة أن ينحرف أبوه إلى هذه الطريق .. ولكن ، هكذا حال الرجال جميعا !

الليدى : هل جميع الرجال أنذال ؟

الدوقة : أوه ، كلهم يا عزيزتى ، كلهم .. فالرجال قد يشيخون ، لكنهم لا ينصلحون قط !

● وإذ أدت الدوقة العجوز الثرثارة مهمتها على هذا النحو ، تنهض فتنصرف ، تاركة « مرجريت » فريسة لأفكارها المريرة : « يا للفظاعة !.. إنها تتحدث عن مبالغ ضخمة من المال تنفق على

مسز أرلين هذه .. فلألق نظرة على دفتر الشيكات الخاص بزوجى لأتبين حقيقة الأمر ! » .

وتمضى إلى مكتبه ، وتفتح الدفتر .. ولدهشتها وفزعها تجد الدليل تلو الدليل على أن الدوقة كانت صادقة فى كل حرف نطقت به .. ففى مواضع متفرقة من الدفتر ما يثبت إنفاق زوجها بسخاء على تلك المرأة: (مسز أرلين : ٦٠٠ جنيه) .. (مسز أرلين : ٧٠٠ جنيه) .. (مسز أرلين : ٤٠٠ جنيه !) .. « أوه ، يا للضعة !! » .

ويزيد الأمر تفاقما أن زوجها حين يعود يحاول أن يدافع عن مسز أرلين فى حديث له مع زوجته : « لا تتكلمى عنها بهذه اللهجة يا مرجريت .. إنك لا تعلمين مبلغ ما فى أقوالك هذه من ظلم للمرأة .. فمسز أرلين امرأة تعسة سيئة الحظ .. ولو عرفت .. » .

— لست أبغى معرفة أى شىء عن هذه المرأة !

— مرجريت ، إنك يجب أن تمدى يد المعونة لمسز أرلين . يجب أن تنقذيها ، فهى تبغى العودة إلى أحضان المجتمع ، وتنتظر منك أن تساعديها . فلترسلى إليها دعوة لسهرتنا الليلة .

— (**فى إباء**) لن أفعل شيئا من هذا القبيل !

— أو ترفضين ؟

— بلا شك !

— إذن فسأكتب الدعوة بنفسى (**يمضى إلى منضدة مكتبه فيكتب رقعة الدعوة ويرسلها مع خادم**) .

— أرثر ، إذا جاءت هذه المرأة إلى بيتى ، فسوف أصفعها على وجهها

بمروحتى أمام الملأ ! (**وتغادر الحجرة غاضبة ..**) .

— يا إلهى ! ماذا عساى أفعل ؟ لست أجرؤ أن أصارحها بحقيقة شخصية تلك المرأة .. فقد يقتلها العار لو فعلت !

٢

● فإذا كان الفصل الثانى رأينا اللورد والليدى وندرمير فى مدخل قصرهما يستقبلان ضيوفهما فى حفلة عيد ميلادها هذه .. وإذا صفوة المجتمع اللندنى هناك .. مهرجان من الأناقة البليدة يخطف الأبصار .. وأعلن الخادم وصول مسز أرلين ، فيمسك اللورد وندرمير بأنفاسه برهة حافلة بالقلق : ترى هل تجرؤ زوجته فتهين مسز أرلين علنا ؟ وتقترب مسز أرلين فى ثوب فاخر نحو مضيفتها الليدى وندرمير ، فتشدد الأخيرة قبضة أصابعها على مروحتها فى عصبية ، ثم تفلتها من يدها على الأرض ، وتنحنى لزائرتها محيية فى فتور !

لورد دارلنجتون: لقد سقطت منك مروحتك يا ليدى وندرمير (**يلتقطها ويمد يده بها إليها**) .

مسز أرلين : (**إلى لورد وندرمير**) ما أجمل زوجتك العذبة .. إنها صورة !

● ولا تلبث مسز أرلين أن تصبح محور حلقة من الرجال المعجبين ، بينما ترشقها النساء بنظراتهن الباردة . وتقول إحداهن معلقة : « لقد سمعت عنها أشياء فظيعة .. يقولون إنها تقود وندرمير المسكين إلى

الخراب .. ومع ذلك ، فها هى الليدى وندرمير تدعوها إلى عيد ميلادها ! يا للطرافة ! لا بد أنها غاية فى الطيبة والسذاجة كى تفعل هذه الفعلة الناطقة بالغباء ! » .

لكن مسز أرلين فيما يبدو غافلة عن النظرات العدائية والتعليقات الجارحة التى يخصها بها النساء .. فهى تمطر معجبيها الرجال بلفتاتها وتحياتها إلى اليمين واليسار ! وهى تبدى اهتماما خاصا باللورد أوجستس — شقيق دوقة بيرويك ! — فنسمعها تقول له : « ما أمتع مرافقتك فى رقصة الحياة يا لورد ! » .. فيجيبها الساذج وقد احمر وجهه غبطة وخجلا : « أوه ، شكرا لك ، شكرا لك .. لأنت أجمل النساء طرا ! » .

وشيئا فشيئا تبدأ النساء الأخريات فى الاقتراب من مسز أرلين .. فما دامت الليدى وندرمير قد دعتها إلى بيتها آخر الأمر ، فلا يمكن أن تكون امرأة سيئة السلوك بقدر ما يزعمون !

الدوقة : (**إلى ليدى وندرمير**) لقد تبادلت حديثا شائقا مع مسز أرلين منذ لحظة .. ولست أفهم كيف يتكلم الناس عنها بمثل ما يتقولون .. ومع ذلك يا عزيزتى فلو كنت مكانك لاتخذت جانب الحذر البالغ .. ففيها فتنة لا تنكر !

● تصغى ليدى وندرمير إلى كل هذا وفى قلبها تعتمل ثورة مكبوتة !.. فلا يكاد مطاردها اللورد دارلنجتون ينفرد بها فى ركن بعيد عن الأنظار حتى تعترف له بأنها .. لو أوتيت فقط الشجاعة الكافية ؟!

دارلنجتون : إنى أحبك .. وأهبك حياتى .. فماذا يعطيك

زوجك ؟.. لا شيء غير الخديعة ! فلتغادرى هذا البيت الليلة . دعينا نفر معا !



ليدى وندرمير : إنى خائفة . دع لى فرصة كى أفكر !.. لعله يحسن أن أنتظر ، فقد يعود زوجى إلى !

دارلنجتون : وتقبلينه إذا عاد ؟ إنك إذن مثل سائر النساء .. لا شجاعة لك ، على الإطلاق !

ليدى وندرمير : أعطنى وقتا للتفكير فى الأمر .. لن أستطيع أن أجيبك الآن ..

دارلنجتون : إما الآن أو .. أبدا !

ليدى وندرمير : إذن .. أبدا !

دارلنجتون : إنك تحطمين قلبى !

ليدى وندرمير : قلبى هو الذى تحطم !

● وتدنو السهرة من نهايتها ، فيخرج بقية المدعوين ومن بينهم

لورد دارلنجتون ! ـــ لكن ليدى وندرمير أثناء عودتها من توديع بعض الخارجين إلى الباب تلمح زوجها وتلك المرأة « مسز أرلين » يتحدثان همسا ، وقد بدت عليهما علائم الجد !.. كانت مسز أرلين تحدث مضيفها عن اعتزامها الزواج من لورد أوجستس . لكن ليدى وندرمير لا تسمع حديثهما ، وإنما ترى فقط فى وجهيهما سيماء الألفة !.. وإذ ذاك يستقر عزمها : « إن البقاء فى هذا البيت بعد الآن صار مستحيلا .. سألبى نداء لورد دارلنجتون ! » ـــ تجلس إلى منضدة وتكتب خطابا إلى زوجها : « عندما يقرأ هذا الخطاب سوف يفهم .. أنه ليس خطئى .. إنه هو الذى فصم رباط الزوجية .. أما أنا فإنما أتخلص من أغلالها ! » .

تترك الخطاب على المنضدة وتخرج !

ولا تمضى دقائق حتى تمر مسز أرلين بالمكان مصادفة ، فتلمح الخطاب .. فتفضه بيد مرتجفة وتقرأه .. وعندئذ تتهاوى غائصة فى أحد المقاعد وهى تهتف فى لوعة : « أوه ، يا للفظاعة ! نفس الكلمات التى كتبتها منذ عشرين عاما إلى « أبيها » ! وما كان أمر العقاب الذى حاق بى جزاء تلك السقطة ! كلا ، بل إن عقابى ، عقابى الحقيقى ، إنما يبدأ الليلة .. الآن ! » .

لكنها تعتزم إنقاذ ابنتها !.. فلا تكاد تلمح صديقها لورد أوجستس قد جاء يبحث عنها ـــ كى يطلب يدها ! ـــ حتى تستدير إليه فى انفعال : « لورد أوجستس ، أصغ إلى . عليك أن تأخذ لورد وندرمير إلى ناديك ، فورا . واجتهد أن تعوقه هناك أطول مدة ممكنة :

لورد أوجستس : ومكافأتى على ذلك ؟

مسز أرلين : أطلبها منى غدا . أما الليلة فلا تدع وندرمير يغيب عن ناظريك دقيقة واحدة . ولتعقه عن العودة إلى هنا حتى الصباح ! واعلم أنك إذا خذلتنى فى هذا الأمر فلن يكون لى معك حديث بعد الآن !

لورد أوجستس : (**محدثا نفسه**) إنها تعاملنى كما لو كنت قد تزوجتها فعلا !

٣

● فإذا كان الفصل الثالث ، فقد انتصف الليل .. وقد جاءت ليدى وندرمير إلى مسكن ذلك الأعزب الماجن « لورد دارلنجتون » !.. وهو لم يعد من الخارج بعد ، لكن الزوجة المارقة قد ندمت بالفعل على الخطوة التى اتخذتها ! وإن كانت تخشى أن يكون أوان التراجع قد فات ..

تدخل مسز أرلين ، فتبتدر « ابنتها » ضارعة : « ليدى وندرمير ، يجب أن تعودى إلى بيت زوجك فورا ! » .

ليدى وندرمير : أعلم لماذا جئت . إن زوجى يخشى الفضيحة ، وقد أرسلك كى تستدرجينى لأعود !

مسز أرلين : ليدى وندرمير .. إنك تظلميننى إلى درجة رهيبة ، وتظلمين زوجك ظلما أفظع .. إنه لم ير خطابك الجنونى فقد فضضته أنا .. وقرأته !

ليدى وندرمير : فضضت خطابا كتبته أنا إلى زوجى ؟ كيف

تجرؤين ؟

مسز أرلين : جرؤت على ذلك كى أنقذك .. لك أن تسيئى بى الظن كما تشائين ، ولكن فلتعودى إلى زوجك .. أؤكد لك أنه لا يحب سواك .. وأن حبه لك الذى جعله يرضخ لى ، ويغدق على ماله ، ويحتمل الفضيحة والأكاذيب التى تنهال عليه !.. لن أستطيع إيضاح الأمر لك ، ولكن صدقينى إنى أقول لك الحق .. حذار أن تقدمى على هذه الخطوة .. فأنت تجهلين الثمن الذى ستضطرين إلى دفعه تكفيرا عنها !.. أما أنا فإنى أدفع الليلة ثمن سقطة مماثلة . فإنك الليلة قد بعثت قلبا فى امرأة لم يكن لها قلب . بعثته ثم حطمته !.. ولكن دعى ذلك الآن ، وعودى يا ليدى وندرمير إلى الزوج الذى يحبك . عودى إلى طفلك . إنه ينتظر منك أن تتولى حمايته .. فإن مكان الأم لهو إلى جانب طفلها !.. ليدى وندرمير ، أناشدك أن تثوبى لرشدك !

ليدى وندرمير : (**تمد يديها إلى مسز أرلين**) خذينى إلى بيتى .. عودى بى إلى بيتى !

● لكنهما لن تستطيعا الخروج الآن ، فإنهما تسمعان أصواتا !.. إن لورد دارلنجتون ولورد أوجستس ولورد وندرمير وآخرين قد جاءوا ليقضوا بقية الليلة فى مسكن أولهم ، بعد أن أغلق ناديهم أبوابه ..

مسز أرلين : (**هامسة لليدى وندرمير**) صه ! (**تشير إلى ستارة تغطى بابا يفضى إلى الشرفة**) اختبئى هناك ، ثم انتهزى أول فرصة وتسللى هاربة !

● تهرع ليدى وندرمير لتختبىء وراء الستارة ، بينما تدلف مسز أرلين إلى حجرة مجاورة .. ويدخل الرجال المسكن ليقضوا سهرتهم .. وأثناء حديثهم تحين من أحدهم نظرة فيلمح مروحة الليدى وندرمير ، وقد نسيتها من عجلتها فوق الكنبة ، فيعرضها على لورد وندرمير مازحا : « إن صديقنا دارلنجتون يخفى امرأة فى مسكنه .. هذه مروحتها ..! » .



لورد وندرمير : (**مبهوتا ، وقد تعرف على مروحة زوجته !**) يا إلهى ! (**يستدير إلى دارلنجتون**) ماذا بحق السماء تفعل مروحة زوجتى فى بيتك ؟ (**يلحظ حركة** (مروحة الليدى ..)

اهتزاز خفيفة فى الستارة) ما الذى يحرك هذه الستارة (يندفع نحوها) .

مسز أرلين : (تدخل فى تلك اللحظة مقبلة من الحجرة المجاورة) لورد وندرمير !

لورد وندرمير : (مدهوشا) مسز أرلين ! (يسود الحجرة الهرج والمرج ، فتنتهز ليدى وندرمير الفرصة وتتسلل خارجة من المسكن !) .

مسز أرلين : (تتدارك الموقف) أخشى أن أكون قد أخذت مروحة زوجتك بدلا من مروحتى عند خروجى . لكم أنا آسفة (يحدجها صديقها لورد وندرمير بنظرة احتقار ... بينما يستدير لورد أوجستس مبتعدا .. ويبتسم الباقون أحدهم للآخر ابتسامة ماكرة !) .

٤

● فإذا كان الفصل الرابع فنحن فى صباح اليوم التالى ، وقد عادت ليدى وندرمير إلى بيتها ! ونراها تحدث نفسها متسائلة : « ما أغرب الحياة ! لقد كنت على وشك أن أهينها علانية فى بيتى .. فإذا هى تقبل مختارة أن تجلل بالعار فى بيت رجل أعزب ، من أجلى !.. ما أمر السخرية

التى تنطوى عليها مقاييس أحكامنا على النساء الفاضلات والساقطات ! » .

ولكى تكتمل السخرية ، يقبل لورد وندرمير ليصارح زوجته بأنه قد اكتشف فى النهاية حقيقة مسز أرلين ، وكيف أنها امرأة ساقطة سيئة الخلق !

لورد وندرمير : لا تفكرى فى أمرها قط بعد الآن .. فإنها وضيعة .. وضيعة كأحقر ما تكون الضعة !

ليدى وندرمير : أرثر ، لا تتحدث عن امرأة — أيا كانت — بهذه اللهجة .. فلست أعتقد أن مسز أرلين وضيعة .. بل إنى أريد أن أراها ، أريدها أن تحضر إلى هنا ..

لورد وندرمير : ألبتة !.. لو عرفت أين ذهبت ليلة أمس بعد خروجها من هنا مباشرة ، لأصررت على أنها ينبغى ألا تطأ عتبة هذا البيت مرة أخرى !

● ولكن فى هذه اللحظة بالذات يعلن الخادم قدوم مسز أرلين !.. لقد جاءت لتعيد المروحة وتعتذر أحر اعتذار : « لكم أنا آسفة لما حدث بشأن المروحة يا صديقتى . لست أستطيع أن أتصور كيف ارتكبت هذه الغلطة السخيفة !.. كان غباء منى .. » .

وتصارحهما بأنها قررت مغادرة إنجلترا : « فإن قلبى هنا لا يسلم من الأذى .. وسوف أذهب لأعيش فى الجنوب . » .

ليدى وندرمير : ألن أراك إذن قط بعد الآن يا مسز أرلين ؟

مسز أرلين : أخشى ذلك .. فإن حياة كل منا تسير فى طريق بعيد عن طريق الآخر .. لكن هناك شيئا واحدا بسيطا أود لو فعلته من أجلى : أريد منك صورة لك ولطفلك ، إذا أمكن !

● وتصعد ليدى وندرمير إلى الطابق الثانى لتحضر الصورة .. فيبدأ زوجها فى توبيخ مسز أرلين من أجل زيارتها الشائنة لمسكن دارلنجتون : « إنك تلوثين هواء هذا البيت . لماذا جئت الآن ؟ » .

مسز أرلين : كى أودع ابنتى بلا شك .. لا تخف ، فليس فى نيتى البتة أن ألعب معها دور الأم !.. وبقدر ما يخصنى الأمر أنصح بأن تبقى مرجريت على جهلها بحقيقتى .. لتظل تذكر أمها « المتوفاة » فى صورة القديسة التى لا تشوب نقاءها شائبة !

● وهكذا . حين تعود ليدى وندرمير بالصورة المطلوبة ، تستأذنها الزائرة فى الانصراف . دون أن تفصح عن شخصيتها : « زوجك يقول إنك شديدة التعلق بذكرى أمك يا ليدى وندرمير ! » .

ليدى وندرمير : لكل إنسان مثله الأعلى فى الحياة . ومثلى الأعلى هو أمى !

مسز أرلين : المثل العليا أشياء خطيرة يا عزيزتى ، والحقائق أفضل منها . صحيح إنها تجرح ، لكنها أفضل ..

● ومع ذلك فهى تترك ليدى وندرمير بصحبة « مثلها العليا » !..

فإن قلبها لا يطاوعها على أن تجرح ابنتها التى وجدتها حديثا لتفقدها مرة أخرى .. إلى الأبد !

عزاء واحد بقى لمسز أرلين ، هو أن « لورد أوجستس » قرر — برغم كل شىء — أن يتزوجها » !

ليدى وندرمير : (**إلى أوجستس**) آه ، إنك يا لورد تتزوج امرأة فاضلة حقا !

(ستار)

شخصيات الرواية

لورد إلنجورث	Lord Illingworth
جيرالد آربثنوت	Gerald Arbuthnot
سير جون	Sir John
لورد ألفريد	Lord Alfred
مستر كيلفل	Mr. Kelvil
رئيس الخدم	Butler
الخادم	Francis
ليدى هنستانتون	Lady Hunstanton
ليدى كارولين (زوجة جون)	Lady Caroline
ليدى ستَفيلد	Lady Stutfield
مسز ألونبى	Mrs. Allonby
مس هستر ورسلى	Miss Hester Worsley
مسز أربثنوت	Mrs Arbuthnot
الخادمة	Aliee

زمان الرواية : العصر الحاضر .

مكان الرواية : الريف الإنجليزى .

(تقع حوادث الرواية خلال أربع وعشرين ساعة) .

عزيزى القارئ ...

المسرحية التى أقدمها إليك فيما يلى هى إحدى روائع أوسكار وايلد الخالدة، وقد أطلق عليها اسم: A Woman of no Importance أى « امرأة لا وزن لها » وهو اسم لا يصلح للترجمة العربية كما ترى ، لذلك آثرت أن أقدمها إليك باسم « خطايا الحب » وهو أقرب الأسماء إلى موضوعها فيما أعتقد ..

وأنت قد تكون لم تقرأ شيئا لأوسكار وايلد من قبل ، فى حين أنك لكى تتذوق أدبه على الوجه الأكمل ينبغى أن تلم بطريقته الفذة فى التعبير وأسلوبه اللاذع فى الكتابة .. ولن أحاول فى هذا المجال الضيق أن أعرفك بأوسكار وايلد وأدب أوسكار وايلد ، وإنما حسبى أن أحاول تعريفك بطابعه الخاص فى الكتابة ، ولا سيما فى الكتابة التى تنطوى على حوار .. فهو شغوف بالمفارقات اللاذعة الشبيهة بصواريخ ذهنية براقة يطلقها فى الهواء فتخلبك وتبهر أنفاسك .. من فرط ما تنطوى عليه من الصدق الصارخ أحيانا .. ومن التهكم الساخر بالأوضاع المقلوبة التى تسود المجتمع الحديث ، أحيانا أخرى .. فهو فى جميع كتاباته يشن الحرب بلا هوادة على النفاق الاجتماعى والرياء والزلفى ، التى تسود المجتمع العصرى بصفة عامة ، والمجتمع الإنجليزى بصفة خاصة ، ولا سيما بين أفراد طبقة المحافظين المتغطرسين .. استمع إليه وهو يقول على لسان

الحسناء « الأمريكية » ، هستروسلى ، فى حديثها إلى ليدى هنستانتون : « إنكم تنبذون عن مجتمعكم كل ما هو طيب ولطيف ، وتسخرون من كل ما هو طاهر وبسيط ، كى تعيشوا على أكتاف الآخرين ، وبفضلهم ! » .. أو وهو يخاطب هستر على لسان « ليدى كارولين » : « قد لا تعلمين يا عزيزتى أننا فى أيام شبابنا لم تكن مجتمعاتنا تضم رجلا يعيش من عرق جبينه .. لم يكن ذلك لائقا ! » .. أو قوله على لسان المرأة نفسها : « إن الانجليزيات يخفين مشاعرهن إلى ما بعد الزواج ، ثم يظهرنها بعد ذلك ! » .

وأوسكار وايلد ولوع فى حواره كما ذكرت ، بالمفارقات الصارخة ، التى تجعلك تتوقع فى بداية العبارة نهاية معينة ، فإذا بك تفاجأ بعكسها تماما .. فهو يقول على لسان إحدى شخصيات الرواية مثلا : « إن ليدى بلتون قد فرت مع عشيقها ، فمات زوجها بعد فرارها بثلاثة أيام » !.. إلى هنا وأنت تتوقع أن الزوج المسكين مات حزنا وغما .. فإذا بك تفاجأ ببقية العبارة : « فمات زوجها بعد فرارها بثلاثة أيام ، من شدة الفرح .. أو من داء النقرس . لا أدرى ! » .

وهو بالسخرية عينها يقول لك على لسان شخصية أخرى : « ما أفظع ما اعتاده الناس هذه الأيام من أن يقولوا عن الشخص فى غيبته » وأنت هنا تتوقع أن تكون تتمة العبارة مثلا « الأكاذيب والمفتريات » لكنه يفاجئك بدلا من ذلك بالعكس تماما ، فيقول : « ما أفظع ما اعتاده الناس هذه الأيام من أن يقولوا عن الشخص فى غيبته ، الحقائق بحذافيرها ! » .

وبنفس الطريقة يقول على لسان « لورد ألفريد » : « إن السجاير التى

أدخنها غالية الثمن جدا .. بحيث لا أستطيع شراءها إلا حين أكون مثقلا بالديون ! » .

أو يقول على لسان آخر ، ردا على عبارة من امرأة تحدثه : « تعجبين بى من أجل شيء واحد فقط ؟ لكن لى صفات سيئة كثيرة ؟ » ... كأن المرأة تعجب به من أجل صفاته السيئة لا الحسنة !

ثم استمع إليه يقول على لسان ليدى ألونبى ، فى حديثها إلى جمع من صديقاتها : « سأذكر لكن الذنب الذى ارتكبه زوجى ..إذا وعدتننى بأن تذكرنه لكل من تصادفن ! » .. بدلا من أن تقول : « لا » تذكرنه ..!

.. أو يقول على لسان ليدى كارولين فى حديثها إلى الفتاة الأمريكية : « بعد عشاء شهى يستطيع المرء أن يغفر زلات أى إنسان ، حتى لو كان من أقربائه ! » — بدلا من أن تقول : حتى لو كان من أعدائه !

بل اقرأ قوله على لسان اللورد ألنجورث فى حديثه إلى الليدى هنستانتون : « إن النساء يحببننا من أجل نقائصنا ، فإذا كان لدينا منها الكفاية غفرن لنا كل شيء .. حتى ذكاءنا » وهو بهذا يرمى إلى السخرية من درجة تقدير النساء لذكاء الرجل !

ثم أقرأ سخرية أوسكار وايلد من اللورد ألنجورث نفسه ، حين يقول على لسانه : « إنى فى سبيل أن أسترد شبابى لن أحجم عن تضحية ، اللهم طبعا إلا أن أزاول التمرينات الرياضية وأستيقظ مبكرا ، أو أغدو عضوا نافعا فى المجتمع ! » .. كأن صيرورته عضوا نافعا فى المجتمع تعد تضحية من جانبه !!

والآن .. لنرفع الستار عن الرواية ذاتها :

الفصل الأول

● نحن فى حديقة قصر « ليدى هنستانتون » الريفى ، وقد دعت النبيلة الثرية خليطا من صديقاتها وأصدقائها كى يقضوا فى ضيافتها عطلة نهاية الأسبوع « الويك إند » بعيدا عن ضجيج العاصمة وضوضائها .. ونتعرف إلى الحلقة الأولى من ضيوفها فإذا هى تتألف من ثلاثة : ليدى كارولين ، وزوجها سير « جون » ، وفتاة أمريكية هى « هستر ورسلى » ، وقد جلس ثلاثتهم فى الحديقة الممتدة أمام شرفة القصر ، تحت شجرة ضخمة عتيقة ، يتسامرون ويثرثرون .. ونلمس من حديث الزوجين ـــ المتقدمين فى السن ـــ مبلغ اعتزاز الإنجليز ببلادهم وجهلهم بغيرها من بلاد العالم ـــ حتى أمريكا ـــ جهلا يخفى قدرا من الاحتقار !.. ونعلم أن مس ورسلى تزور إنجلترا لأول مرة . ومن ثم فهى ما تزال تجهل طباع الإنجليز المحافظين وعجرفتهم ، فلا تكاد تطلق نفسها على سجيتها « الأمريكية » وتشارك ليدى كارولين فى انتقادها لإحدى المدعوات ، واسمها مسز « ألونبى » ، حتى تبادرها محدثتها فى رياء العجائز المتغطرسات :

كارولين : لست أعتقد يا مس ورسلى أن من حق الأجانب مثلك إبداء إعجابهم أو نفورهم من ضيوف دعوا إلى المكان معهم ، فضلا عن أن مسز ألونبى امرأة من أسرة عريقة معروفة . قد

يقال طبعا إنها فرت من بيت أهلها قبل الزواج مرتين ، لكنك تعلمين كيف يبالغ الناس عادة فى أقوالهم . وأنا شخصيا لا أعتقد أنها فرت من أسرتها غير مرة واحدة !

هستر : وما رأيك فى مستر « آربثنوت » ؟ إنه شاب جذاب ..

كارولين : آه ، تقصدين الشاب الذى يعمل فى أحد البنوك ؟.. قد لا تعلمين أننا فى أيام شبابنا لم تكن مجتمعاتنا تضم رجلا يعيش من عرق جبينه .. لم يكن ذلك لائقا !

هستر : لكننا فى أمريكا نحترم هذه الفئة أكثر من جميع طبقات المترفين !.. والواقع أنى شديدة الإعجاب بمستر أربثنوت ..

كارولين : ليس من المألوف فى إنجلترا يا مس ورسلى أن تتحدث فتاة عن رجل بهذه الحماسة .. إن الإنجليزيات يخفين مشاعرهن إلى ما بعد الزواج ، ثم يظهرنها بعد ذلك !

● وهنا تقبل ربة القصر « ليدى هنستانتون » ويقبل فى إثرها الشاب موضوع الحديث « جيرالد أربثنوت » فيزف إلى مضيفته البشرى بأن الثرى الكبير اللورد « ألنجورث » قد عرض عليه أن يكون سكرتيره :

الليدى : سكرتيره ؟ هذه أنباء طيبة حقا يا جيرالد ، فهى تعنى أن أمامك مستقبلا باهرا ، ولسوف تسر والدتك حين تعلم بالأمر .. سأكتب إليها لأبلغها النبأ السار وأدعوها للحضور الليلة كى تتعرف إلى اللورد وتشكره .. (ثم

تنهض إلى منضدة قريبة لتكتب الخطاب فيشكرها الشاب على اهتمامها ، ثم يلتفت إلى الحسناء الأمريكية) :

جيرألد : هل لك فى جولة فى الحديقة يا مس ورسلى ؟

هستر : بكل سرور ..

● وتخرج معه ، بينما يدور بين العجائز حديث نعلم منه أن اللورد ألنجورث مرشح لأن يعين فى السلك السياسى ، كسفير لبلاده فى « فينا » .. ثم تدخل سيدتان ، هما « ليدى ستتفيلد » ، و« مسز ألونبى » التى كان القوم ينتقدون فرارها من أهلها فى شبابها :

هنستانتون : أرجو أن تكون الحديقة قد أعجبتك يا عزيزتى ..

ألونبى : إنها رائعة حقا .. وإن كنت أشعر أننى لو عشت فى الريف ستة أشهر لغدوت امرأة بليدة الإحساس ، لا تعجب أحدا !

هنستانتون : أؤكد لك إنك تظلمين الريف بهذه التهمة ، فعلى بعد ميلين من هنا يقع البيت الذى فرت منه ليدى بلتون مع عشيقها لورد « فذرسديل » . وقد مات زوجها بعد فرارها بثلاثة أيام ، من شدة الفرح .. أو من داء النقرس ، لا أدرى !

ألونبى : الفرار مع الحبيب نوع من الجبن فى رأيى ، فهو فرار من الخطر .. وقد صارت المخاطر نادرة فى حياتنا العصرية .

كارولين : يخيل إلىّ أن نساء هذه الأيام يجعلن هدف حياتهن الوحيد : اللعب دائما بالنار !

ألونبى : الفائدة الوحيدة للعب بالنار هى حماية المرأة من الاحتراق ،

فإن الجاهلات به هن اللواتى يحترقن !

ستتفيلد : النساء مظلومات فى هذه الدنيا .. كأن الدنيا خلقت للرجال وحدهم !

ألونبى : أنت مخطئة ، فنحن نستمتع بالحياة أكثر منهم ، لأن الأمور المحرمة علينا أكثر من الأمور المحرمة عليهم !

● وهنا يدخل مستر « كيلفل » عضو البرلمان ، فتبتدره كارولين :

كارولين : على فكرة ، هل أنت فى صف إعطاء المرأة حق الانتخاب وإشراكها فى السياسة يا مستر كيلفل ؟

كيلفل : إن ازدياد نفوذ النساء هو من أكثر الظواهر المطمئنة فى حياتنا السياسية ، فالنساء دائما ينتصرن للأخلاق الفاضلة .. سواء فى الحياة العامة أو الخاصة ..

هنستانتون : (**لكارولين**) على ذكر هذا ، أتعلمين يا عزيزتى أن اللورد ألينجورث لا يؤمن بفضيلة النساء ؟

ستتفيلد : العالم كله يقول إن اللورد رجل سيئ السيرة !

لورد ألنجورث : (**وهو يقبل على الجماعة فيسمع العبارة الأخيرة**) أى عالم هذا الذى يقول عنى ذلك ياليدى ستتفيلد ؟ لا بد أنه العالم الآخر .. فإنى وهذا العالم على تفاهم تام ! (**يجلس بجوار مسز ألونبى**) .

ستتفيلد : كل الذين أعرفهم يقولون إنك سيئ السيرة !

ألنجورث : ما أفظع ما اعتاده الناس هذه الأيام من أن يقولوا عن الشخص فى غيبته ، الحقائق بحذافيرها !

هنستانتون: إن عزيزنا اللورد ألنجورث رجل ميؤوس من إصلاحه ياليدى ستتفيلد .. وعلى فكرة ، نسيت أن أشكرك يا لورد على صنيعك مع جيرالد أربثنوت ، فإنه شاب رائع ، وأمه من أعز صديقاتى .. لقد خرج منذ برهة فقط مع الأمريكية الحسناء ..

كارولين : آه !.. لست أدرى لم لا تبقى هؤلاء الأمريكيات فى بلادهن .. يقولون إنها فردوس النساء !

ألنجورث : وهى كذلك بالفعل .. ولهذا السبب فإنهن ، مثل حواء ، يتلهفن على الفرار منها !

● وينهض اللورد مع مسز ألونبى بعد حين ، فتسأله ربه القصر :

هنستانتون: هل أنت ذاهبة يا مسز ألونبى ؟

ألونبى : إلى الطرف الآخر من الحديقة فقط ، فقد أنبأنى اللورد هذا الصباح بأنه رأى هناك زهرة لها إغراء الخطايا السبع !

● ويبتعد الاثنان ، بينما يدنو شخص يدعى لورد « ألفريد » ، فيجلس بجوار ليدى ستتفيلد ، التى تجاذبه أطراف الحديث :

ستتفيلد : ما اجمل هذه السجاير ذات الفم المذهب يا لورد !

ألفريد : إنها غالية الثمن جدا ، بحيث لا أستطيع شراءها إلا حين أكون مثقلا بالديون !

ستتفيلد : لا بد أنه أمر فظيع أن يكون المرء مدينا !

ألفريد : لا بد للإنسان من عمل يشغل به وقته على أى حال ، ولولا ديونى لما وجدت شيئا أفكر فيه ..!

(مروحة الليدى ..)

هنستانتون : آه هذا خطاب من العزيزة مسز أربثنوت (**تقرأ الخطاب**) إنها لن تحضر للعشاء لكنها ستأتى لقضاء السهرة .. لكم أنا مسرورة بذلك . إنها من أظرف النساء ، تجمع بين رقة الأنوثة وطيبة القلب ..

● يقترب منها الخادم ويهمس لها بأن الشاى قد أعد فى « الصالون الأصفر » فتدعو ضيوفها إلى أن يتبعوها .. ويهم سير « جون » بأن يحمل معطف ليدى ستنفيلد ، لكن زوجته كارولين تحدجه بنظرة شذراء فيتراجع !.. ويبتعد الكل بينما يدنو لورد ألنجورث ومسز ألونبى فيلمحان نظرة كارولين إلى زوجها .

ألونبى : من العجيب أن غير الجميلات يغرن على أزواجهن أكثر من الجميلات !

ألنجورث : ذلك لأن الجميلات لا وقت لديهن للغيرة ، فهن دائما مشغولات بالغيرة على أزواج غيرهن !

ألونبى : كنت أحسب أن ليدى كارولين قد ملت الغيرة الزوجية فى مثل سنها ، سيما وأن سير جون هو زوجها الرابع ! (**تلمح جيرالد وهستر يدخلان لتناول الشاى**) إن جيرالد فتى ظريف حقا ، لكنى لا أهضم الأمريكية التى معه . لقد جرؤت فقالت لى أمس ، وبصوت عال ، إن سنها ثمانية عشر سنة فقط .. يالها من أكذوبة مثيرة !

ألنجورث : يجب أن لا يثق المرء قط بالمرأة التى تفصح عن سنها الحقيقية .. فالتى تكشف للرجل سنها ، تكشف له كل شىء !

ألونبي : والذى يغيظنى منها أكثر ، اعتدادها بفضيلتها وزهدها !

ألنجورث : لست أومن بوجود نساء زاهدات ، بل أعتقد أنه ما من امرأة على الأرض لا يغرها الثناء والغزل ، وهذا سر جاذبية النساء !

ألونبي : أنت لا تؤمن إذن بوجود المرأة التى ترفض القبلة ؟

ألنجورث : أكاد أجزم بأنها نادرة الوجود !

ألونبي : وأنا بدورى أجزم بان هستر لن تسمح لك بتقبيلها !

ألنجورث : وماذا ترينها فاعلة إذا قبلتها ؟

ألونبي : تتزوجك ، أو تصفعك ! وأنت ، ماذا تفعل لو صفعتك ؟

ألنجورث : قد أقع فى هواها ..!

ألونبي : إذن فمن حسن الحظ أنك لن تقبلها ..

ألنجورث : أهذا تحد ؟ ألا تعلمين أنى أنجح فى كل ما أحاوله ؟

ألونبي : يؤسفنى أن أسمع هذا ، فنحن النساء نعبد الفاشلين . إنهم يتكئون علينا .

ألنجورث : بل أنتن تعبدن الناجحين ، وتتعلقن بهم ..

ألونبي : نحن أكاليل الغار التى تتوج هاماتهم ، وتخفى صلعتهم !

ألنجورث : وهم يحتاجون إليكن دائما ، إلا فى ساعة انتصارهم !

ألونبي : هناك شيء واحد سأظل معجبة بك دائما من أجله .

ألنجورث : شيء واحد فقط ؟ لكن لى صفات سيئة كثيرة ؟ وما هو هذا الشيء ؟

ألونبي : هو أنك لم تغازلنى قط ..!

ألنجورث : وهل فعلت يوما غير ذلك ؟

● يدخل الخادم ليدعوهما إلى الصالون الأصفر ، فيجيبه اللورد بأنهما ذاهبان . وفيما هما يتجهان نحو السلم يلمح اللورد خطاب مسز أربثنوت على المنضدة فيتناول المظروف ويتأمل خطه ، ثم يتمتم : « عجبا ، إنه يذكرنى بخط امرأة عرفتها فى السنين الخوالى ! » .

ألونبى : من هى ؟

ألنجورث : أوه ، امرأة لا وزن لها .. (**ويلقى بالخطاب على المنضدة ثم يصعد سلم الشرفة مع مرافقته ، وهما يتبادلان الابتسام**) .

الفصل الثانى

● غرفة الاستقبال بقصر هنستانتون ، بعد العشاء .. الأنوار مضاءة ، والنساء مسترخيات على الأرائك يثرثرن ..

ألونبى : أية راحة فى أن نتخلص من صحبة الرجال بعض الوقت !

ستتفيلد : نعم .. فى الواقع أن الرجال يطاردوننا بصورة مزعجة .

ألونبى : يطاردوننا ؟.. ليتهم يفعلون !

هنستانتون : أوه ، يا للجرأة !

ألونبى : المزعج حقا أن الخبثاء يستطيعون أن يكونوا سعداء تماما بغيرنا !

ستتفيلد : الرجال قساة القلوب ، يعرفون قوتهم ويستغلونها !

كارولين : بل نحن اللواتى لا نعرف كيف نضعهم فى مكانهم المناسب .

ألونبى : وما هو مكانهم المناسب ؟

كارولين : أن يعتنوا بزوجاتهم ...

ألونبى : حقا ؟ وإذا كانوا غير متزوجين ؟

كارولين : المشاهد أنهم فى هذه الحالة يعتنون بزوجات غيرهم ! إنه لأمر فاضح حقا عدد العزاب الذين يعيشون فسادا فى المجتمع . كان يجب أن يسن قانون يجبرهم جميعا على الزواج فى خلال سنة !

ستنفيلد : وإذا كانوا يحبون امرأة مرتبطة برجل آخر مثلا ؟

كارولين : عندئذ يجب تزويجهم فى ظرف أسبوع منْ امرأة قبيحة الخلقة لإعطائهم درسا فى وجوب عدم المساس بممتلكات الآخرين !

هنستانتون : أتعتقدين يا عزيزتى أن القوانين تصلح هذه الأمور ؟ إن الذى ألاحظه أن المتزوجين يعيشون فى هذه الأيام كالعزاب ، والعزاب كالمتزوجين !

ستنفيلد : وأنت يا مسز ألونبى ، ألم تصفحى بعد عن زوجك ؟ ترى ماذا كان الذنب الذى فعله ، هل أهانك فى نوبة غضب بكلمة جارحة ؟

ألونبى : أوه ، كلا .. « إرنست » هادىء للغاية ، وهدوؤه أحد الأسباب التى تجعله يثقل على أعصابى دائما . ما من شىء

يثير المرأة الحساسة مثل هدوء الرجل وبلادته !

ستنفيلد : لكنك لم تذكرى الذنب الذى ارتكبه زوجك ؟

ألونبى : حسنا ، سأذكره لكن ، إذا وعدتننى بأن تذكرنه لكل من تصادفن !.. عندما خطبنى إرنست أقسم لى وهو راكع على ركبتيه أنه لم يحب امرأة قبلى قط . وكنت صغيرة ساذجة فلم أصدقه ، و لم أقم لسوء الحظ بأية تحريات فى هذا الصدد .. حتى تزوجت ، وانقضت أشهر ، اكتشفت بعدها أن ما قاله لى كان الحقيقة بحذافيرها ، وهو أمر يجعل الرجل غير شائق بالمرة .. !

هنستانتون : يا للهول !.. ما هذا الذى تقولين ؟

ألونبى : الرجال يحرصون دائما على أن يكونوا حب المرأة الأول ، وهذا يرضى غرورهم .. أما نحن النساء فغريزتنا تجعلنا نفضل أن نكون حب الرجل الاخير !

هنستانتون : أتعنين أنك ترفضين الصفح عن زوجك لأنه لم يحب امرأة قبلك ؟.. إنه لأمر يدهشنى !

كارولين : لا شيء ينبغى أن يدهشنا هذه الأيام سوى الزيجات السعيدة .. إنها تزداد ندرة بشكل واضح .

ألونبى : أوه ، إنها لم تعد تلائم روح العصر !

ستنفيلد : إلا بين الطبقات المتوسطة ..

كارولين : هذا إطراء لتلك الطبقات على أية حال ، فمما يؤسف له حقا أن تكثر فى طبقتنا الزوجات الطائشات ، المسؤولات

في رأيي عن فشل عدد كبير من الزيجات التي نعرف كلنا قصصها .

ألونبي : أما أنا فلست أعتقد أن لطيش الزوجة دخل فى الأمر ، فإن أكثر الزيجات تفشل هذه الأيام بسبب تعقل الأزواج أكثر من أى شيء آخر .. وإلا فكيف يمكن أن تسعد امرأة مع رجل يصر على معاملتها كما لو كانت مخلوقا كامل العقل والإدراك ؟!

هنستانتون : (مستنكرة) مسز ألونبى !

ألونبى : الرجل ينتسب إلى جنس تميز بعقله منذ آلاف السنين ، فهو لا يملك من أمر ذلك شيئا .. أما تاريخ النساء فمختلف . لقد كنا على الدوام عنوانا للاحتجاج الصارخ على وجود العقل الراجح والتمييز السليم . لقد أدركنا مخاطرهما منذ البداية !

ستفيلد : الواقع أن رجاحة عقل الأزواج شيء متعب للغاية .. وبهذه المناسبة : ما صفات الزوج المثالى فى نظرك ؟

ألونبى : الزوج المثالى ؟ هذا شيء لا يمكن وجوده ، التعبير ذاته خاطىء !

ستفيلد : إذن فليكن السؤال : من هو « الرجل » المثالى بالنسبة للمرأة ؟

ألونبى : الرجل المثالى هو الذى يخاطبنا كما لو كنا آلهة ، ويعاملنا كما لو كنا أطفالا !.. هو الذى يرفض كل مطالبنا الجدية ، ويرضى كل نزواتنا !.. هو الذى يشجعنا على أن تكون لنا

أهواء، ويمنعنا من أن تكون لنا رسالات !.. هو الذى يقول دائما أكثر مما يعنى ، ويعنى دائما أكثر مما يقول !.. إذا سألناه فى أى موضوع ، أجابنا عن موضوع واحد : هو أنفسنا !.. وهو ينبغى أن يكون دائما على استعداد لأن يمتدحنا من أجل الصفات التى يعلم أنها ليست فينا ، ويوبخنا بلا شفقة على الفضائل التى لم نحلم يوما بتوفرها فينا !.. وأخيرا فالرجل المثالى ينبغى أن لا يؤمن قط بأننا نعرف قيمة الأشياء النافعة ، فهذا فى نظره ذنب لا يغتفر ، ومن أجل ذلك فعليه أن يمطرنا بكل شىء لا نريده ..!

كارولين : إذن فليس عليه غير دفع الفواتير وإغداق المديح !

ألونبى : (**مستمرة**) ، إنه ينبغى أن يهيننا فى إصرار أمام الملأ ، ويعاملنا بالاحترام الكامل على انفراد !.. وعليه أن يكون مستعدا على الدوام لأن يشتبك معنا فى مشاجرة رهيبة كلما أردناها .. وأن ..

كارولين : (**مقاطعة**) لكنك لم تذكرى المكافأة التى ينالها الرجل المثالى منا ؟

ألونبى : مكافأته ؟ لا شىء غير الانتظار اللانهائى . هذا يكفيه تماما ! وعلى المرأة أن لا تستسلم له قط ، إلا إذا أرادت طبعا أن تسأمه !

● وهنا تتنبه ربة الدار فجأة إلى وجود الفتاة الأمريكية فى ركن منزو من المكان ، وتخشى أن تكون قد سمعت هذه الآراء الكفيلة بأن تصدم مشاعرها

البريئة ، فتمضى إليها وتجاذبها الحديث كى تزيل أثر ما قد تكون سمعته :

هنستانتون : قيل لى إن عندكم فى أمريكا مجتمعا بهيجا ؟

هستر : المجتمع الأمريكى الحقيقى يتألف من نسائنا الفضليات ورجالنا الأفاضل ..

هنستانتون : أخشى أن يكون عندنا فى إنجلترا كثير من الفوارق الاجتماعية المصطنعة ، فنحن لا نختلط الاختلاط الكافى بالطبقات المتوسطة والوضيعة .

هستر : ليست عندنا فى أمريكا طبقات وضيعة !

كارولين : يظهر أنه تنقصكم فى أمريكا أشياء كثيرة ، فقد سمعت أن ليس فى بلادكم خرائب ولا تحفا وطرائف ..!

ألونبى : هراء !.. فعندهم أمهاتهم وعاداتهم !

هستر : إن الأرستقراطية الإنجليزية تمدنا بتحفنا وطرائفنا من الرجال الذين يشحنون إلينا فى السفن كل صيف ، ويطلبون يدنا غداة وصولهم إلى بلادنا !.. أما الخرائب فنحن نسعى كى نبنى صرحا يبقى على مر الأجيال أكثر من الطوب والأحجار !

هنستانتون : آه ، تقصدين صرح « المعرض الحديدى » الذى تشيدونه ؟

هستر : نحن نسعى كى نبنى الحياة ذاتها على أساس أفضل وأصدق وأنقى من أساسها الذى ترتكز عليه هنا فى إنجلترا يا ليدى هنستانتون .. إنكم تنبذون عن مجتمعكم كل ما هو طيب

ولطيف ، وتسخرون من كل ما هو طاهر وبسيط ، كي تعيشوا على أكتاف الآخرين ، وبفضلهم !.. أنتم تستهزئون بالتضحية ، وإذا ألقيتم إلى الفقير يوما بلقمة خبز فإنما لكى تستريحوا من إزعاجه إياكم ردحا من الزمن !.. ومع كل أبهتكم وثروتكم وفنكم فإنكم لا تعرفون كيف تعيشون . لا تحبون إلا الجمال الذى ترونه وتلمسونه ، وتتلفونه !.. أما الجمال غير المنظور للحياة ، للحياة الأسمى ، فلا تعرفون عنه شيئا . إن مجتمعكم الإنجليزى فى نظرى مجتمع سطحى ، أنانى ، غبى . مجتمع قد أعمى عينيه وأصم أذنيه ، بيديه !.. إنه أشبه بالمجذوم المتدثر بالقرمز ، والميت الموشى بالذهب .. إنه كله خطأ فى خطأ !

هنستانتون: يا عزيزتى مس ورسلى ، لقد حسبتك معجبة بالمجتمع الإنجليزى ، فلقد ظفرت فيه بإعجاب خيار القوم ، وأطراك لورد « هنرى ويستون » بعبارات تحسدين عليها ، وهو الحجة فى الجمال كما تعلمين !

هستر : اللورد هنرى ؟ إنى أذكره جيدا ، ذلك الرجل ذا الابتسامة الكريهة والماضى الكريه !.. إنه يدعى إلى كل مكان ، بدونه لا تكتمل حفلة أو مأدبة عشاء ، ولكن ما قولك فى الضحايا الذين كان سبب دمارهم ؟ إنهم منبوذون ، لا يحملون أسماء ينتسبون إليها . إذا لقيتهم فى الطريق أشحت بوجهك عنهم فى ازدراء !.. ليس معنى ذلك أنى أحتج على العقاب الذى

حاق بهم ، فإن كل امرأة خاطئة يجب فى رأيى أن تلقى جزاءها .

● تبدو مسز أربثنوت مقبلة من باب الشرفة الخلفى البعيد ، فتجفل لدى سماعها العبارة الأخيرة ، لكنها تتمالك نفسها .. بينما تستطرد الأمريكية :

هستر : نعم ، فلتتحمل المرأة الخاطئة جزاء فعلتها ، ولكن ليس من العدل أن تعاقب بمفردها .. فليصحبها شريكها فى الإثم إلى صحراء النفى الاجتماعى كى يتبادلا حبهما أو بغضهما كما يشاءان ! . ليوصم الاثنان بوصمة ظاهرة على جبينهما ، إذا أردتم ، ولكن لا تعاقبوا أحدهما وتتركوا الآخر حرا طليقا !.. لا يكونن عندكم قانون للرجال وقانون آخر مخالف للنساء . إنكم تظلمون النساء وسوف تظلون تظلمونهن حتى تقروا بأن العار الذى يشين المرأة ينبغى أن يشين الرجل أيضا مثلها ..!

هنستانتون : **(تلمح مسز أربثنوت قادمة فتخف لاستقبالها مرحبة)** أهلا أهلا يا عزيزتى ، يسرنى أنك حضرت لتسمعى صديقتنا الأمريكية الشابة تصف لنا شرورنا !

هستر : أخشى أن أكون تكلمت بشىء من العنف ، ولكن ...

هنستانتون : (**مقاطعة**) كلا يا فتاتى العزيزة ، فقد كان فى كلامك نصيب كبير من الصدق ، وإن كنت قسوت على شقيق كارولين ، لورد هنرى المسكين !

هستر : آسفة يا ليدى كارولين ، لكننى لم أعلم أنه شقيقك ..

كارولين : بل إن الجزء الوحيد من كلامك الذى أوافقك عليه هو الذى تحدثت فيه عن أخى ، فإنى اعتبره رجلا فاسد الخلق .. لكن العدل يقتضينى الاعتراف له بأنه لطيف المعشر ، وأنه يقتنى طاهيا من أحسن الطهاة .. وبعد عشاء شهى يستطيع المرء أن يغفر زلات أى إنسان ، حتى لو كان من أقربائه !

هنستانتون : (**للأمريكية**) تعالى يا عزيزتى أعرفك بمسز أربثنوت . إنها من طبقة البسطاء الطيبين الذين عبت علينا أننا نقصيهم عن مجتمعنا .. والواقع أنها لا تزورنى إلا نادرا ، لكن الذنب ليس ذنبى ..

● وإذ ذاك تنتهز ليدى ستتفيلد ومسز ألونبى أول فرصة فتنسحبان من المكان إلى الشرفة فى أنفة وتعال ، بحجة الاستمتاع بجمال النجوم !.. بينما تهنىء ربة القصر ضيفتها على اختيار اللورد ألنجورث لابنها سكرتيرا له ، وتسألها عما إذا كانت تعرف اللورد ، فتجيب بأنها لم تسمع حتى باسمه ، من فرط انزوائها عن المجتمعات !.. فتقول الليدى فى تعريفها به : « إنه رجل رفيع المقام ، رغم أنه ما يزال فى حكم الشاب .. وهو لا يشتغل فى الواقع بأى عمل ، الأمر الذى تعتبره صديقتنا الأمريكية عارا لا يليق بأى إنسان !.. ولست أعتقد أنه يهتم بالمشروعات الخيرية التى تشغل وقتك يا مسز أربثنوت ، ولكن لكل إنسان بالطبع ميوله الخاصة .. » .

ثم تمضى الليدى فى ثرثرتها ، فنعلم أن اللورد قد ورث لقبه الحالى منذ

نحو أربعة أعوام ، بعد موت أبيه اللورد السابق ، أما قبل ذلك فكان يعرف باسم « جورج هارفورد » .. الخ .. وبعد حين يدخل الخادم معلنا قدوم قسيس الضاحية ، الذى لا يكاد يرى مسز أربثنوت حتى يرحب بها فى احترام ظاهر ، ويطرى تفانيها فى خدمة الفقراء والنهوض بمشروعات البر ، بل ويغبط ربة القصر على حظوتها بزيارتها !.. وفى هذه الأثناء تنفض جلسة الرجال « الانفرادية » التى بدأت فى حجرة الطعام بعد العشاء ، فيقبلون الواحد فى أثر الآخر .. وتعلق نظرات مسز أربثنوت باللورد ألنجورث ، الذى يمر فى أقصى القاعة ، دون أن يتنبه إليها ، ليقف فى أحد الأركان مع مسز ألونبى وليدى ستتفيلد فيمازح الأولى بقوله :

ألنجورث : كيف حال « ملكة » الجاذبية النسائية فى العالم ؟

ألونبى : (**فى لباقة ، وهى تمسك بيد ستتفيلد**) كلانا بخير ، شكرا (**فى تهكم**) : ولكن لم غادرت حجرة الطعام بهذه العجلة ؟

ألنجورث : كنت محرجا فلم أستطع الفرار ، رغم شوقى إلى اللحاق بكن منذ البداية ..

ألونبى : ليتك بكرت ، فقد كانت الأمريكية تلقى علينا « محاضرة » !

ألنجورث : حقا ؟ إن الأمريكيين جميعا مولعون بإلقاء المحاضرات . أغلب ظنى أنها ظاهرة ناتجة عن طقس بلادهم ! وماذا كان موضوع محاضرتها ؟

ألونبى : « الفضيلة » طبعا ..!

ألنجورث : كم من المهلة تعطينني كى « أهديها » إلى الصراط « غير » المستقيم ؟

ألونبى : أسبوعا ..

ألنجورث : إنه أكثر من الكفاية !

● وهنا يدخل الشاب « جيرالد » ابن مسز أربثنوت ، فلا تكاد أمه تلمحه حتى تلح عليه فى أن يصحبها إلى البيت ، متعللة بتعب مفاجىء ، لكن الشاب يحرص على أن يقدمها أولا إلى رئيسه الجديد ، ورب نعمته ، اللورد ألنجورث .. فيتجه إليه من فوره ويقوده إليها .. وإذ يلمحها اللورد — لأول مرة — يجفل مأخوذا ، لكنه يتمالك نفسه ويمضى نحوها .. وحين يقدم الفتى كلاهما إلى الآخر تنحنى المرأة للورد فى فتور ، فيطالبها ابنها بأن تشكره على صنيعه معه ، لكنها لا تجيبه إلى طلبه إلا بعبارة متكلفة غامضة !..

ثم يدور بين الثلاثة حديث قصير ، تبدى الأم خلاله ارتيابها فى أن يصلح ابنها للمركز الجديد !.. فيدهش جيرالد من لهجة أمه ، ويرجو من اللورد أن يقنعها بأنه جاد فيما يعرضه عليه .. وهنا يستأذن اللورد ربة القصر وصديقاتها فى أن يتحدث إلى مسز أربثنوت بضع لحظات ، فتجيبه ليدى هنستانتون : « آه ، طبعا .. إن عندك الكثير الذى ترغب فى أن تقوله لها وعندها هى الكثير الذى تشكرك عليه ، فليس كل شاب يجد هذه الفرصة الذهبية ! » .. ثم تمضى الليدى مع ضيوفها إلى قاعة الموسيقى ، بينما يبقى اللورد والأم على انفراد .. ولا تلبث أن تسمع من بعيد أنغام تعزف على الكمان :

اللورد : إذن فهذا هو ابننا ياراشيل ؟ لكم أنا فخور به، إن كل شيء فيه ينطق بأنه ابني .. ولكن ما سر اختيارك لاسم « أربثنوت » بالذات ؟

الأم : كل الأسماء تصبح سواء حين لا يكون للمرأة حق في أي اسم على الاطلاق !

اللورد : وما الذي أوحى إليك بتسميته « جيرالد » ؟

الأم : نقلا عن اسم الرجل الذي حطمت قلبه : أبي !

اللورد : إن ما فات قد مات يا راشيل ، ولا خير في بعث الماضي من مرقده ، كل ما أريد أن أقوله لك الآن إنني جد سعيد بابننا . إن الناس لن يعرفوا عنه بالطبع إلا أنه سكرتيري ، لكنه بالنسبة إليّ سيكون قريبا جدا إلى قلبي ، عزيزا جدا على نفسي .. فإني الآن فقط شعرت أن حياتي كان ينقصها شيء : النسل !.. وقد وجدت ما ينقصني ، وجدت ابني .. ولكم أنا مسرور بذلك !

الأم : إنك لا تملك الحق في المطالبة به ، أو بأضأل نصيب منه . إنه ولدي وحدي ، وسيظل كذلك !

اللورد : يا عزيزتي راشيل ، لقد استأثرت به وحدك أكثر من عشرين عاما ، فلم لا تدعيني أحظى به الآن بعض الوقت ؟ إنه ابني كما هو ابنك !

الأم : أتعني الابن الذي هجرته ، والذي كان يحتمل أن يكون قد مات من الجوع والفاقة ؟

اللورد : لعلك لم تنسى يا راشيل أنك أنت التى هجرتنى ؟

الأم : هجرتك لأنك رفضت أن تمنح الطفل اسما .. لقد طالما توسلت إليك ، قبل أن يولد ، أن تتزوجنى !

اللورد : لم يكن أمامى مستقبل مرموق وقتئذ ، فضلا عن أنى لم أكن أكبر منك سنا بكثير . كنت حدثا فى الثانية والعشرين أو أقل يوم بدأ الأمر كله فى حديقة بيت أبيك !

الأم : عندما يكون للإنسان من السن ما يسمح له بأن يرتكب الشر ، ينبغى أن تسمح له سنه أيضا بأن يفعل الخير !

اللورد : دعينا لا نخرج عن الموضوع يا عزيزتى .. تقولين إنى تركت طفلنا معرضا للموت جوعا ، وهذا قول سخيف وغير صحيح ، فلقد عرضت أمى عليك إيرادا سنويا قدره ستمائة جنيه ، لكنك أبيت قبوله بل أخذت الطفل واختفيت عن الأنظار !

الأم : ما كنت لأقبل بنسا واحدا منها ، فإنها لم تكن نبيلة فى شعورها نحوى مثل أبيك ، الذى صارحك فى حضورى بأن واجبك يحتم عليك الزواج منى !

اللورد : أوه ، إن الواجب هو ما ينتظره المرء من الآخرين ، وليس ما يفعله هو .. والواقع أنى كنت تحت تأثير أمى ، وكل رجل يكون كذلك فى شبابه الباكر .

الأم : يسرنى أن أسمع منك ذلك ، فإنى أعتقد أن جيرالد لن يخالف رغبتى ويسافر معك !

اللورد : أى هراء يا راشيل !

الأم : أوَ تحسبنى سوف أسمح لابنى ..

اللورد : (**مصححا**) لابننا كلينا ..

الأم : بل ابنى وحدى ! (**تستطرد**) .. بأن يعمل فى كنف الرجل الذى أفسد شبابى ، وحطم حياتى ، ولوث بالعار كل لحظة من أيامى وماضى ؟

اللورد : إنى اعتبر مستقبل جيرالد أهم بكثير من ماضيك !

الأم : إنه لن يستطيع أن يفصل مستقبله عن ماضى !

اللورد : بل إن هذا بالذات هو ما ينبغى أن يفعله ، وأن تساعديه أنت على فعله .. إنك تتكلمين بمنطق النساء التقليدى ، العاطفى ، الأنانى !.. راشيل ، أنا أريدك أن تنظرى إلى المسألة من زاوية الإدراك السليم ، الزاوية التى تحقق ما فيه خير ابننا ، بغض النظر عنك وعنى .. فما هو مركزه اليوم ؟ إنه موظف بسيط مغبون فى بنك إقليمى صغير فى بلدة من الدرجة الثالثة ، فإذا اعتقدت أنه سعيد قانع بعمله هذا فأنت على خطأ جسيم .

الأم : إنه كان قانعا حتى التقى بك !.. أنت الذى أغريته بالتذمر .

اللورد : هذا صحيح ، لكن التذمر هو الخطوة الأولى فى طريق تقدم الأفراد أو الشعوب . وأنا لم أتركه يعانى عذاب الطموح إلى أشياء فوق متناوله ، وإنما عرضت عليه عرضا خلابا تعلق هو به على الفور ، كما كان خليقا بأى شاب فى مكانه أن

يفعل !.. والآن ، لمجرد أن المصادفة شاءت أن أكون فى الوقت ذاته والد الفتى ، وهو ابنى ، أراك تسعين عامدة إلى تدمير مستقبله ! أعنى أنى لو كنت غريبا عنه تماما لتركته يرحل فى ركابى ، أما وهو من لحمى ودمى فإنك ترفضين .. أى منطق سقيم هذا !

الأم : لن أسمح له بالسفر معك !

اللورد : وكيف تمنعينه ؟ بأية حجة تغرينه على التفريط فى فرصة ذهبية كهذه ؟ إنك لن تجرؤى طبعا على مصارحته بالحقيقة ، فإن الأطفال يحبون والديهم فى البداية ، لكنهم إذا ما كبروا أدانوهم وصاروا قضاتهم العادلين الذين يندر أن يغفروا لهم !

الأم : جورج ، لا تأخذ ابنى بعيدا عنى .. لقد عشت عشرين سنة مريرة تشوبها الأحزان ، لم يكن لى خلالها من يحبنى وأحبه سواه .. فى حين عشت أنت حياة مترعة بالأفراح والملذات والنجاح .. عشت سعيدا لا تنغصك حتى ذكرانا ، فما كان يوجد — طبقا لفلسفتك فى الحياة — سبب واحد يفرض عليك أن تذكرنا . وقد كان لقاؤنا الحالى محض مصادفة ، مصادفة رهيبة .. فلتنسها ، ولا تأتى الآن فتسلبنى كل من بقى لى فى الحياة . إنك واسع الثراء فى أشياء أخرى كثيرة ، فدع لى كرمة حياتى الصغيرة الوارفة . دع لى الحديقة المتواضعة وبئر الماء ، والحمل الذى أرسله الله إلى

في فيض رحمته ، أو غضبه ، لست أدرى !.. أواه ، دعه لى بربك .. جورج ، لا تنتزع منى جيرالد !

اللورد : راشيل ، أنت لا تلزمين لمستقبل جيرالد فى الوقت الحاضر ، أما أنا فلازم له . وهذا كل ما ينبغى أن يقال الآن فى هذا الموضوع !

الأم : لن أدعه يذهب !

اللورد : هذا هو جيرالد قد أقبل ، ومن حقه أن يقرر مصيره بنفسه !

● ويدخل جيرالد ، فتحاول أمه التأثير على رأيه باستدرار عاطفته البنوية كى يضعف عن فراق المخلوقة التى ربته ولازمته عشرين عاما .. لكنه يفحمها برد يفرق فيه بين عاطفته ومستقبله !.. فتحاول إقناعه بأنه لا يملك المؤهلات التى تزكيه لشغل المنصب المعروض عليه !.. وهنا يحسم اللورد النقاش من هذه الزاوية جازما بصلاحية الفتى للمنصب ! ثم يتحدى الأم أن تذكر أى سبب آخر يدعوها إلى المعارضة فى قبول ابنها للعرض المغرى .. وينضم الفتى إلى اللورد فى تحدى أمه أن تفسر مسلكها الشاذ !.. وأمام هذا الحرج تجيبهما المرأة التعسة راغمة بأنها لا تملك غير الأسباب التى ذكرتها ! فيلتفت اللورد إلى الشاب قائلا : « إذن ففى وسعنا يا ابنى أن نعتبر المسألة منتهية .. فتعال ندخن سيجارة فى الشرفة معا .. أما أنت يا سيدتى فدعينى أصارحك بأنك قد تصرفت تصرفا غاية فى الحكمة وسداد الرأى ! » .. ثم يخرج الرجلان ، بينما تبقى الأم بمفردها كتمثال جامد بلا حراك ، وعلى وجهها نظرة تنطق بالحزن الأخرس المفجع !

الفصل الثالث

● فإذا كان الفصل التالى فنحن فى قاعة الصور بقصر هنستانتون ، وقد استرخى اللورد ألينجورث على كنبة ، وجلس جيرالد على مقعد فى مواجهته .. واسترسل الحديث بينهما حول تعقل مسز أربثنوت ورجوعها إلى جادة الحق .. فيقول ابنها :

جيرالد : إن أمى حية الضمير فى الواقع ، فهى تعتقد مخلصة أنى لست على درجة من العلم تؤهلنى لأن أكون سكرتيرك . ولعلها على حق ، فإنى كنت بليدا للغاية أيام الدراسة ، فلم أنجح يوما فى امتحان من أول مرة !

اللورد : الامتحانات نظام عقيم لا نفع فيه ، لأنه إن كان الرجل « جنتلمانا » فهو يعرف الكفاية كى ينجح فى الحياة .. وإن لم يكن فمهما تعلم فالعلم كفيل بأن يضره !

جيرالد : لكنى لا أزال جاهلا بالحياة يالورد ألنجورث .

اللورد : لا تخش شيئا يا ابنى ، ولتذكر دائما أنك تملك أعظم مؤهل فى الوجود يزكيك ، وأروع كنز فى الحياة : الشباب !.. لا شىء كالشباب !.. ليخيل إلى أنى فى سبيل أن أسترد شبابى لن أحجم عن شىء .. اللهم طبعا إلا أن أزاول التمرينات الرياضية وأستيقظ مبكرا ، أو أغدو عضوا نافعا

في المجتمع !

جيرالد : أوَ تعد نفسك متقدما في السن يا لورد ألنجورث ؟

اللورد : إني في سن تؤهلني لأن أكون أباك !

جيرالد : أنا لا أذكر أبي ، لقد مات منذ بعيد . والعجيب أن أمي لا تحدثني عنه قط .. لا بد أنه كان دونها في المرتبة .

اللورد : (**يجفل قليلا**) حقا ؟ (**يتجه نحو الشاب فيضع راحته على كتفه ثم يحول دفة الحديث**) إن حب الأم عاطفة تلمس القلب بلا نزاع ، لكنها كثيرا ما تنطوي على الأنانية ! إن أمك امرأة طيبة للغاية ، لكن النساء الطيبات تكون آراؤهن في الحياة ضيقة الأفق ، وشواغلهن تافهة .. فإذا أردت أن تعرف الحياة على حقيقتها ، لا كما تصورها النظريات البالية ، فأول ما ينبغي أن تفعله هو أن تعد نفسك لغشيان المجتمع .. فإن الرجل الذي يسيطر بأحاديثه على مائدة عشاء في العاصمة يستطيع أن يسيطر على العالم !

جيرالد : إني أتوق دائما إلى أن أتأنق في ثيابي ، لكنني كثيرا ما أسمع القول بأن الرجل ينبغي ألا يغالي في ذلك .

اللورد : بهذه المناسبة دعني أنصحك بأن تتعلم كيف تحسن عقد رباط رقبتك ، فإن الرباط المعقود جيدا هو الخطوة الأولى الهامة في الحياة !

جيرالد : (**ضاحكا**) قد أستطيع أن أتعلم ذلك ، لكنني لن أستطيع يوما أن أتحدث بمثل براعتك !

اللورد : أوه ، هذا سهل .. تحدث إلى كل امرأة كما لو كنت تحبها ، وإلى كل رجل كما لو كان يضايقك ! بهذا تستطيع امتلاك ناصية آداب اللياقة فى المجتمع ..!

جيرالد : لكن النجاح فى المجتمع أمر عسير فيما يخيل لى ؟

اللورد : لكى ينجح الإنسان فى المجتمع هذه الأيام ، يتعين عليه أن يطعم الناس ، أو يسليهم ، أو يصدمهم بآرائه !

جيرالد : أحسب أن الانخراط فى المجتمع متعة شائقة ؟

اللورد : إنه شىء يثير السأم ، لكن الحرمان منه مأساة !.. فالمجتمع شىء ضرورى للإنسان ، وما من رجل ظفر بنجاح حقيقى فى هذه الحياة ما لم تكن هناك امرأة تحمى ظهره !.. النساء هن اللواتى يسيطرن على المجتمع .

جيرالد : هل من العسير حقا فهم النساء ؟

اللورد : لا تحاول قط أن تفهمهن .. النساء صور ، أما الرجال فهم مشكلات !.. فإن أردت أن تعرف قصد امرأة ، فلا تصغى إلى كلامها ، بل انظر إلى عينيها !

جيرالد : لكن النساء ماكرات للغاية فيما أظن ؟

اللورد : هذا ما ينبغى أن يقوله المرء لهن دائما !.. أما بالنسبة للفيلسوف فهن يمثلن انتصار المادة على العقل ، كما أن الرجال يمثلون انتصار العقل على الأخلاق !

جيرالد : كيف أمكن أن تكون للنساء هذه القوة الجبارة ؟

اللورد : إن تاريخ النساء هو تاريخ أسوأ أنواع الطغيان التى عرفها

العالم ، طغيان الضعيف على القوى .. وهو الطغيان الوحيد الذى يدوم !

جيرالد : أغلب ظنى أنك لم تتزوج قط يالورد ألنجورث ؟

اللورد : الرجال يتزوجون حين يتعبون ، والنساء يتزوجن بدافع الفضول .. والطرفان يصابان بخيبة أمل !

جيرالد : ولكن ألا تعتقد أن المرء يستطيع أن يسعد فى زواجه ؟

اللورد : بلا شك .. لكن سعادة الرجل المتزوج إنما تستمد من المرأة التى لم يتزوجها !

جيرالد : وماذا لو كان الرجل عاشقا ؟

اللورد : ينبغى أن يظل المرء عاشقا على الدوام ، ومن أجل هذا يجب ألا يتزوج قط !

جيرالد : يخيل إلى أن الحب شىء ممتع جدا ؟

اللورد : فى الحب يبدأ الإنسان بأن يخدع نفسه ، ثم ينتهى بأن يخدع الطرف الآخر !

● وهنا تقبل ربة القصر وضيوفها ، وتدور بين الجميع أحاديث تافهة متنوعة ، حتى يعن لليدى ستتفيلد أن توجه إلى اللورد سؤالا يجيب عليه بقوله :

اللورد : إن النساء يحببننا من أجل نقائصنا ، فإذا كان لدينا منها الكفاية غفرن لنا كل شىء ، حتى ذكاءنا !

هنستانتون : آه ، نحن النساء ينبغى أن نغفر كل شىء ، أليس كذلك يا مسز أربثنوت ؟ أنت لا بد توافقيننى على هذا الرأى ؟

أربثنوت : مطلقا ، فهناك شيء يجب أن لا نغفره قط !

هنستانتون: وما هو ؟

أربثنوت : تدمير حياة امرأة !

وتمضى مبتعدة فى بطء إلى أقصى القاعة .. ولا تلبث مسز ألونبى أن تقترح على اللورد أن يخرجا إلى الشرفة ليستمتعا بضياء القمر ، فيقول لها :

اللورد : هيا بنا ، فليس أحب إلىّ من النظر إلى أى شيء زائل .

ألونبى : فلتنظر إلى نفسك فى المرآة !

اللورد : إنها قاسية ، لا ترينى غير تجاعيد وجهى .

ألونبى : أما مرآتى فأكثر أدبا ، إنها لا تقول لى الصدق أبدا !

اللورد : إذن فهى واقعة فى هواك !

● ثم يخرجان إلى القمر .. ويتفرق الباقون فى ردهات القصر ، بينما تنادى مسز أربثنوت ابنها لتطلب إليه أن يرافقها إلى البيت ، فيستأذنها فى أن يودع اللورد أولا ، وينبئها بأنه سيرحل معه إلى الهند فى نهاية الشهر . ولا يكاد يبتعد حتى تهمس لنفسها وهى تذرع المكان حائرة يائسة : « فليفارقنى ابنى كما يحلو له ، ولكن ليس معه ، ليس معه !.. لن أحتمل ذلك » ..

وفى هذه الأثناء تدخل هستر الحجرة فتتودد إلى الأم وترجو منها أن تتخذها صديقة لها : « فإنك جد مختلفة عن الأخريات !.. عندما دخلت حجرة الاستقبال الليلة أحسست كأنك جلبت معك شعاعا يمثل كل ما هو طيب وطاهر فى الحياة ! » .. ثم يدور بين المرأتين حديث تعرب

فيه الفتاة الأمريكية عن رأيها فيما يتصل بزلات النساء ، ووجوب معاقبة المرأة الخاطئة وإقصائها عن مجتمعات أفاضل الناس ، هي وشريكها فى الإثم .. بل وتذهب إلى أن خطايا الآباء ينبغي أن يعاقب عليها الأبناء « فتلك هي الشريعة العادلة .. شريعة الله ! » .

ثم تأخذ هستر فى تحريض مسز أربثنوت على مطالبة جيرالد بالتخلف عن السفر : « فإن المنصب والمال ليسا كل شيء » .. وتخرج متحمسة لتناديه كي تفاتحه أمه فى الأمر ، لكنها لا تكاد تذهب من باب حتى يدخل الشاب من باب آخر ، فتناشده أمه متوسلة :

الأم : جيرالد ، لا تذهب مع اللورد ألنجورث .. أستحلفك أن لا تفعل .. جيرالد ، أتوسل إليك !

الابن : ما أكثر تقلبك يا أماه ! منذ ساعة واحدة وافقت على المشروع كله ، والآن تعودين فتحاولين إرغامي على نبذ فرصتي الوحيدة فى الحياة !.. إنه ليدهشني ، وقد واتاني الحظ النادر على هذه الصورة ، أن تكون أمي هي المخلوق الوحيد الذى يبذر العراقيل فى طريقي ..!

● ثم يبوح الفتى لأمه بأنه يحب « هستر ورسلي » ، وأن حبه هذا هو أقوى ما يغريه بقبول المنصب المعروض عليه ، كي يكون له مستقبل مرموق يشجعه على التقدم إلى الفتاة .. لكن أمه تجيبه بأن من الخير له أن يطلق آماله فى الأمريكية الحسناء ، فإن آراءها فى الحياة تقطع بأنها لا يمكن أن ترضى به زوجا !.. ورغم ذلك يستطرد الشاب :

جيرالد : على أية حال فسوف يبقى لى طموحى ، الذى طالما حاولت

يا أماه أن تسحقيه .. ألم تقولى لى فى كل مناسبة إن الدنيا حافلة بالشرور ، والمجتمع سطحى تافه ، والنجاح فى الحياة لا يستحق عناء الوصول إليه ؟ لكننى لا أصدق شيئا من هذا ، بل أعتقد أن الدنيا لا بد أن تكون ممتعة ، والمجتمع شائقا ، والنجاح جديرا بكل متاعبه ! لقد كنت على خطأ فى كل ما علمتنى يا أماه .. وإنى لأبذل راضيا أى ثمن لو أتيح لى أن اغدو يوما مثل لورد ألنجورث !

الأم : لخير لى أن أراك جثة هامدة !

الابن : أماه ، هلا صارحتنى بسبب بغضك للورد ألنجورث ؟

الأم : إنه رجل فاسد !

الابن : من أية ناحية ؟ لست أفهمك . صارحينى بكل شىء وأنا أعدك بالعدول عن السفر معه إذا كان قد ارتكب أى فعل شائن !

الأم : جيرالد ، اقترب منى ، التصق بى كما اعتدت أن تفعل فى صباك (**يجلس إلى جوارها ، فتمشط بأناملها شعره وتربت على يديه**) جيرالد ، دعنى أقص عليك قصة : كانت توجد فتاة ، فى زهرة الشباب ، لم تكد تجاوز الثامنة عشرة .. التقت يوما بجورج هارفورد — كما كان اللورد ألنجورث يدعى وقتذاك — و لم تكن تعرف عن الحياة شيئا ، بينما كان هو يعرف كل شىء !.. فأغراها بأن تحبه ، وتتدله فى حبه فتفر معه من بيت أبيها ذات صباح !..

وكان قد وعد جادا بأن يتزوجها ، فصدقته . كانت ساذجة غريرة ، جاهلة بحقائق الحياة ! لكنه راح يرجىء فكرة الزواج أسبوعا بعد أسبوع ، وشهرا بعد شهر .. ومع ذلك ظلت على ثقتها به ، فقد كانت تحبه أعمق الحب وأخلصه . وقبل أن يولد الطفل — طفلهما ! — توسلت إليه ضارعة أن ينفذ وعده فيتزوجها ، كى يولد الطفل وهو يحمل اسما ، وحتى لا تلقى خطيئتها ظلها المشؤوم على مستقبل الوليد ، البرىء .. لكنه رفض !.. فلما وضعت حملها أخذت وليدها فى أحضانها وهجرت الرجل الذى دمر حياتها ، ودمر نفسيتها ، ودمر كل ما كان عذبا نقيا طيبا فيها ! ومنذ ذلك التاريخ عاشت تتعذب ، وما تزال تتعذب ، وسوف تظل كذلك حتى آخر العمر .. فبالنسبة لها لا يوجد فرح ، ولا سلام ، ولا تكفير .. إنها امرأة تجرجر أغلالها كالسجين نزيل الليمان ، وتضع على وجهها قناعا كالأبرص !.. النار لا تستطيع أن تطهرها ، والمياه تعجز عن أن تطفىء عذابها ، لا شىء يمكن أن يبرىء جرحها ، ولا مخدر يقوى على أن يمنحها النعاس ، أو النسيان ، !.. إنها روح ضائعة ، تائهة ، ضالة !.. هذا يا ابنى هو السبب الذى يجعلنى أصف اللورد ألنجورث بأنه رجل فاسد ، وأربأ بابنى أن يلازمه ..

جيرالد : إنها قصة مفجعة بلا شك يا أماه ، لكننى أعتقد أن بطلتها تستحق اللوم مثل اللورد سواء بسواء !.. فمهما يكن من

أمر فإن الفتاة العفيفة الكريمة الخلق لا تفر من بيت أبيها مع رجل لا يربطها به زواج ، ولا تعيش معه كما لو كانت زوجته !.. إنها فعلة لا تقدم عليها فتاة طاهرة .

الأم : (**بعد فترة إطراق وتفكير**) جيرالد ، إنى أسحب اعتراضى . ولك ملء الحرية فى أن تصحب اللورد ألنجورث إلى حيث تشاء ..

جيرالد : أمى العزيزة ، كنت أعلم أنك لن تقفى فى طريق مستقبلى . إنك خير امرأة خلقها الله . أما عن اللورد ألنجورث فلست أصدق أنه يرتكب فعله وضيعة دنيئة كالتى رويتها لى . لا يمكن أن أصدق ذلك ...

هستر : (**تصيح من الخارج**) دعنى !.. دعنى ! (**ثم تدخل مذعورة فتندفع نحو جيرالد وتلقى بنفسها بين ذراعيه هاتفة**) أواه ، أنقذنى .. أنقذنى منه !



جيرالد : ممن ؟

هستر : لقد أهانني .. إهانة فظيعة .. أنقذني !

جيرالد : ممن ؟ من الذى أهانك ؟ من الذى جرؤ ..

● يبدو اللورد ألنجورث مارا أمام الباب من بعيد فتنتزع الفتاة نفسها من بين ذراعى الشاب وتشير إليه .. فيندفع جيرالد نحو اللورد وهو فى حالة من الثورة والهياج لا توصف ، ويصرخ فى وجهه : « لورد ألنجورث ، إنك قد أهنت أطهر مخلوقات الله على الأرض ، أهنت امرأة فى طهارة أمى .. أهنت المرأة التى أحبها مع أمى أكثر من جميع البشر .. وأقسم بربى أنى سأقتلك !» .. لكن الأم تهرول نحو ابنها فزعة وتمسك به صائحة : « كلا .. كلا ! » فيحاول أن يدفعها عنه صارخا : « إليك عنى يا أماه .. لا تمنعينى .. سأقتله !» لكنها تمضى فى صياحها جزعة : « جيرالد !.. جيرالد ! » وإذ يتخلص من قبضتها ويهم بالانقضاض على اللورد لينفذ وعيده ، تصرخ فى وجهه يائسة : « قف ! جيرالد !.. قف !.. إنه أبوك !! » .

وتنقض الكلمة على الفتى كالصاعقة ، فيمسك بيدى أمه فى عصبية ويحدق فى وجهها ، فتتهاوى فى بطء على الأرض منسحقة تحت وطأة عارها !.. بينما تتسلل هستر فى سكون نحو الباب .. ويقطب اللورد وجهه ويعض شفتيه .. وبعد لحظات يعين جيرالد أمه على النهوض ويحيط خصرها بذراعه ثم يقودها صامتا إلى الخارج ..!

الفصل الرابع

● فإذا كان الفصل الأخير فنحن فى صباح اليوم التالى ، فى حجرة الاستقبال بمنزل مسز أربثنوت ، وفى المؤخرة نافذة تطل على الحديقة .. وقد جلس جيرالد إلى منضدة فى ركن الحجرة يكتب .. تدخل خادمة تعلن قدوم ليدى هنستانتون ومسز ألونبى ، فيستقبلهما الشاب مرحبا .. ويدور حديث نفهم منه أن المرأتين قد جاءتا تستفسران عن صحة أمه ، التى انصرفت فى المساء على غير انتظار على أثر المشهد السابق ، متعللة بتعب مفاجئ !

وتجيل مسز ألونبى بصرها فى الحجرة فتلاحظ أنها « نموذج للبيت الهادئ السعيد ! » وتوافقها زميلتها قائلة : « هذا بالضبط ما يحسه الزائر هنا .. إن أكثر النساء لا يزين صالوناتهن فى هذه الأيام بالأزهار الصناعية ، والرجال الأجانب ، والقصص الفرنسية !.. أما هنا فكأننا فى محراب قديسة : أزهار طبيعية نضرة ، وكتب لا تصدم المشاعر ، وصور يستطيع الإنسان أن ينظر إليها دون أن يحمر وجهه خجلا !..

ثم يتشعب الحديث فتسأل المرأتان جيرالد عن موعد سفره إلى الهند فى صحبة اللورد ألنجورث .. وإذ يفاجئهما الفتى بنبأ عدوله عن قبول المنصب المعروض عليه ، بحجة عدم صلاحيته له، تبدى كلتاهما دهشتها وإنكارها ، وتراجعانه فى قراره :

هنستانتون: لكنك فى صحبة اللورد سوف ترى الدنيا ..!

جيرالد : لست أريد أن أراها .. لقد رأيت منها الكفاية !

هنستانتون: وهل توافقك أمك على هذا القرار ؟ أغلب ظنى أنها لن تقوى على المعارضة فى بقائك إلى جوارها ، فإننا نحن النساء ضعيفات ، تحكم قلوبنا أكثر من عقولنا . ولو كان أبوك حيا لما سمح لك بالتفريط فى هذه الفرصة الذهبية لمستقبلك !

● وهنا تدخل الخادمة فتنبئ الضيفتين بأن سيدتها لن تستطيع استقبالهما بسبب صداع شديد ألم بها ، فتحملان جيرالد تحياتهما إلى أمه ثم تنصرفان .. ويعود الفتى إلى المنضدة فيقرأ ما كتبه ، و يحدث نفسه : « بأى اسم أوقع الخطاب ؟.. وأنا الذى لا اسم لى ؟ » ثم يوقعه بمرور النفس ويضعه فى الظرف تمهيدا لإرساله .. وفى هذه اللحظة تدخل أمه فيقول لها إنه قد كتب إلى أبيه يدعوه إلى الحضور فى الساعة الرابعة بعد الظهر :

الأم : لن أسمح له بأن يطأ عتبة بيتى !

الابن : بل إنه يجب أن يأتى . لقد كتبت إليه أقول ...

الأم : ماذا عندك لتقول له ؟

الابن : كتبت أطالبه بأن يتزوجك فورا !

الأم : أجننت ؟

الابن : أماه ، سوف أجبره على أن يصلح الخطأ الذى اقترفه . لا بد من التكفير ! قد تكون العدالة بطيئة يا أماه ، لكنها تأخذ مجراها فى النهاية ، ولن تمضى أيام حتى تصبحين زوجة

اللورد ألنجورث الشرعية ! إنه لن يجرؤ على الرفض ..!

الأم : لكنني أنا التى أرفض .. لن أتزوج اللورد ألنجورث !

الابن : ولكن ، ألا تفهمين أنى أريد ذلك من أجلك أنت يا أمى ؟
إنه بذلك يعوضك ولو تعويضا ضئيلا عما أصابك !

الأم : (منفجرة) تتحدث عن التعويض ؟ ما من شيء يمكن أن يعوضنى عما أصابنى أو يكفر عن إساءته !.. إنى قد جللت بالعار ، أما هو فلم يصبه من العار شيء . هذا أهم ما فى الأمر ! إنها القصة المألوفة للرجل والمرأة كما تحدث دائما : المرأة تقاسي أمر العذاب ، والرجل ينجو من كل عقاب !..

الابن : لكن القصة لن تنتهى هكذا هذه المرة . لا بد من التكفير !

الأم : إنى أرفض الزواج من اللورد ألنجورث !

الابن : حتى لو جاءك بنفسه يسألك أن تكونى زوجته ؟ لا تنسى أنه أبى !

الأم : لو جاءنى يطلب يدى ، وهو لن يفعل ، فسيكون جوابى نفس الجواب ... لا تنس أنى أمك !

الابن : أماه ، إنك تزيدين موقفى حرجا . هذا الزواج يجب أن يتم ، كيما ينزع المرارة من حياتك ويزيل الوصمة التى تلقى ظلها على اسمك .. لا مفر من ذلك ، وبعدئذ نستطيع أن نستقل بحياتنا أنت وأنا كما نحن الآن . إنه واجب أنت مدينة به ، لا لنفسك فقط ، وإنما لجميع النساء ، كى يكف المجرم عن الإيقاع بضحايا أخريات !

الأم : لست مدينة لغيرى من النساء بشيء ، فليست بينهن من أطمع فى أن أظفر بمحبتها ، بله شفقتها — إذا كان لى أن أقبل الشفقة من أحد ! — فالنساء قاسيات على بعضهن البعض .. أوَ لم تر كيف عمدت الأمريكية ، رغم طيبتها ، إلى التسلل من الغرفة ليلة أمس .. كما لو كنت وباء ملوثا يفر الأصحاء منه ؟ لكنها كانت على حق ، فإنى امرأة ملوثة . وسوف أتحمل بمفردى عاقبة أخطائى حتى نهاية العمر !.. فما لغير الخاطئات ومالى ، أو مالى وإياهن ؟ نحن لا نفهم إحدانا الأخرى ..!

● تبدو هستر مقبلة من الخلف ..

الابن : أماه ، أستحلفك أن تفعلى ما أطلبه منك !

الأم : كيف تطالبنى بهذه التضحية ، بل المهزلة المنكرة ؟.. وكيف أجرؤ على أن أقف فى حضرة الله كى أعاهده على أن أحب الرجل الذى أمقته فعلا ، أو على أن أصون شرف من أهدر شرفى ، وأطيع من جعل منى — بحكم سيطرته — امرأة خاطئة ؟ كلا .. ما الزواج إلا رباط مقدس بين طرفين متحابين . إنه لم يجعل لمثله أو لمثلى !.. جيرالد ، إنى من أجلك قد كذبت على الناس طيلة عشرين عاما ، كى أحميك من سخريتهم .. لكنى ولا من أجل نفسى أستطيع أن أكذب على الله ، فى حضرة الله !.. وما من رباط دينى أو دنيوى ، أيا كان ، سوف يربطنى مع جورج

هارفورد !.. أبدا ، أبدا .. إنك لا تقدر كم قاسيت بسببه ، وكم جاهدت وكددت فى سبيل تنشئتك ، وأنت المحروم من رعاية الأب ! ما من عمل يبدو وضيعا فى اعتبار المرأة التى تريد أن تنفق على من تحب ، ولكم أحببتك !.. ليل نهار كنت أسهر على حمايتك من غائلة الموت ، المحروم من النسل ، الذى يريد دائما أن ينتزع أطفالنا منا !

ونحن نحسب فى البداية أن أطفالنا حين يكبرون ويبلغون مبلغ الرجال سوف يعوضوننا عن تعبنا خيرا ، وينصفوننا من الحياة . لكن الحياة لا تلبث أن تجذبهم بمباهجها وتبعد قلوبهم عنا ، فينقلبوا لنا ظالمين .. فهم حين يجدون الحياة مريرة يلوموننا على مرارتها ، وحين يجدونها حلوة لا يشركوننا فى تذوق حلاوتها !.. فإنك حين كبرت صار لك أصدقاء تذهب إلى بيوتهم وتقضى أوقاتا بهيجة معهم .. أما أنا ، فقد انطويت على عارى ، فلم أجرؤ على أن أتبعك . بقيت فى بيتى وأغلقت على نفسى الباب . حجبت عنى الشمس وقبعت فى الظلام !.. فماذا كنت لأفعل فى بيوت الشرفاء ؟ كان ماضى دائما يلازمنى !.. ولقد حسبت أنت أننى لم أكن أعبأ بمباهج الحياة ، لكنى أصارحك بأنى طالما اشتقت إليها ، وإن لم أجرؤ على أن ألمسها ! كنت أشعر بأنى لا أملك هذا الحق ! ولعلك قد توهمت أنى كنت أجد سعادة أعظم فى حدبى على الفقراء ، وأن تلك كانت رسالتى ..

كلا يا ابنى ، فأين غير هناك يمكننى أن أذهب ؟ إن المريض لا يسأل إذا كانت اليد التى تسوى وسادته يد طاهرة أم غير طاهرة .. ولا المحتضر يعبأ بما إذا كانت الشفاه التى تلثم جبينه قد ذاقت قبلة الدنس أم لم تذقها !.. وأنت قد لاحظت كما لاحظ سواك أنى أسرف فى ارتياد بيت الله والقيام بواجبات الدين .. ولكن أين ترانى كنت لأتجه ، وإلى أى ملاذ كنت ألجأ ؟ إن بيت الله هو البيت الوحيد الذى يفتح للخطاة أبوابه ، على مصراعيها ، ويرحب بهم !

جيرالد : أماه ، كفى !.. لم أكن أعلم أنك قاسيت كل هذا ، من أجلى !.. وإنى لمن أجل ذلك بالأحرى أناشدك أن تترفقى بنفسك وتخلدى إلى مستقبل أكثر دعة وراحة .. أماه ، يجب أن تتزوجيه ، إنه واجبك !

هستر : (**تقبل مندفعة من مكمنها فى أقصى الحجرة كى تعانق مسز أربثنوت وهى تشرق بدمعها**) كلا ، كلا .. إنك لن تفعلى . إنه يكون عارك الحقيقى ، العار الأول الذى يلحق بك !.. بل انبذيه وتعالى معى . هناك بلاد أخرى غير إنجلترا ، بلاد وراء البحار ، أفضل ، وأحكم ، وأقل ظلما .. إن العالم جد فسيح وكبير ...

الأم : ليس بالنسبة لى ، وإنما هو لمثلى فى ضيق راحة اليد !.. وأينما سرت سوف تنبت فى طريقى الأشواك !

هستر : لن يحدث شىء من ذلك ، بل إننا سنجد — فى مكان ما —

الوديان الخضراء والمياه العذبة ! دعيني آخذك إليها .. وإذا قدر لنا أن نبكى فسوف نبكى سويا .. أوَ لم نحببه سويا ؟

جيرالد : هستر !

هستر : (**تذوده عنها**) ابق حيث أنت .. إنك لن تستطيع أن تحبنى إلا إذا أحببتها هى أيضا ، ولن تكرمنى ما لم تكن هى عندك الأكرم !.. فيها تستشهد الأمومة كلها ونحن جميعا مهانون فى شخصها ..

جيرالد : وماذا تريدينني أن أفعل ؟

هستر : اسأل قلبك ، ولا تسألنى .. فما كانت لى أم كى أنقذها أو أخزيها !

الأم : إنه قاسى القلب .. دعينى أذهب فأنزوى بعيدا !

جيرالد : (**يخف إلى أمه فيركع أمامها**) أماه، اغفرى لى.. أنا الملوم!

الأم : لا تلثم يدىّ ، إنهما باردتان .. قلبى ذاته بارد ، شىء قد حطمه !

هستر : آه ، لا تقولى ذلك . إن القلوب تحيا بالجراح ، فالهناء يحول القلب إلى حجر والثراء يقسّيه !.. إن الحزن لا يستطيع أن يحطم قلبك ، ثم .. أى حزن بك الآن ؟ إنك الساعة أغلى عنده مما كنت يوما .. ألا رفقا به !

جيرالد : (**نادما**) لأنت أبى وأمى فى وقت معا ! لست بحاجة إلى والد آخر ! لقد طلبت منك ما طلبت لأجلك وحدك .. أواه ، قولى شيئا يا أماه !.. رباه ، هل وجدت حبا لأفقد

الآخر ؟ أماه ، إنك لقاسية ! **(ينهض إلى حيث يلقى بنفسه على كنبة وينشج باكيا) .**

الأم : **(إلى هستر)** أحقا أنه قد وجد حبا آخر ؟

هستر : تعلمين أنى أحببته على الدوام ...

الأم : لكننا فقراء للغاية !

هستر : من يكون فقيراً وهو محبوب ؟ إنى أمقت ثرائى ! إنه عبء ثقيل ، فليشاركنى إياه ...

الأم : لكننا موصومون بالعار ، منبوذون .. وجيرالد لا يملك اسما !.. إن خطايا الآباء ينبغى أن يعاقب عليها الأبناء .. إنها شريعة الله !

هستر : كنت على ضلال .. شريعة الله ليست سوى الحب !

الأم : **(تنهض فتأخذ هستر من يدها متلصصة إلى حيث انكفأ جيرالد على الكنبة يبكى . تلمسه فى رفق ، فيرفع إليها بصره)** ابنى جيرالد ، إنى لن أستطيع أن أمنحك أبا .. لكنى جئتك بزوجة !

جيرالد : أماه ، إنى لست جديرا بها ولا بك ..!

الأم : إنها تأتى فى المقدمة ، إذن فأنت جدير بكلينا !.. جيرالد ، عندما ترحل إلى بعيد .. فكر فىّ من حين إلى حين . لا تنسنى . وعندما تصلى فلتذكرنى فى صلاتك .. إننا نصلى حين نكون سعداء ، ولسوف تسعد يا ابنى .

هستر : ماذا أسمع ؟ إنك لن تفكرى فى أن تفارقينا ؟

جيرالد : أماه ، إنك لن تتركينا ؟.

الأم : قد أجلب عليكما العار ..!

جيرالد : أماه !

الأم : حسنا ، فلأصحبكما فى البداية .. وإذا أردتما عشت بعد ذلك فى دار قريبة من داركما ..

هستر : والآن تعالى معنا إلى الحديقة ..

الأم : فيما بعد .. فيما بعد ..

● ويخرجان ، فتتجه مسز أربثنوت إلى مرآة فى ركن الحجرة فتتطلع إلى صورتها فيها .. ثم تدخل الخادمة حاملة بطاقة زائر ، فلا تقرأها سيدتها حتى تجيبها : « أخبريه أنى لن أستقبله ! » .. لكن اللورد ألنجورث يدخل فى إثر الخادمة قبل أن يؤذن له ، فتراه ربة البيت فى المرآة ، وتجفل ، لكنها لا تستدير إليه .. وإنما تخاطبه عبر المرآة : « ماذا عندك لى اليوم يا جورج هارفورد؟ فلتغادر هذا البيت فورا!» لكنه يعدها بأن جيرالد، وقد عرف الحقيقة كلها، سوف يجد فيه منذ الآن أكرم أب!.. فتعود إلى الإلحاح عليه فى الخروج قبل أن يراه جيرالد، فقد لا تستطيع حمايته منه كما حمته بالأمس !..

اللورد : (**وهو يجلس ، غير مبال**) إنها تلك الأمريكية الحمقاء التى أفسدت الأمر كله ليلة أمس ، لا لشىء سوى أنى أردت تقبيلها !.. أى ضرر فى القبلة ؟

الأم : (**وهى تستدير فتواجهه**) قد تدمر القبلة حياة امـرأة يا جورج هارفورد !

اللورد : لم أجىء لأناقش هذه المسألة ، وإنما الذى جئت لأناقشه :

مصير ابننا ! إنى جد معجب به فى الواقع ، وقد يدهشك أن أعترف بأن مسلكه فى الدفاع عن تلك الدمية البلهاء ليلة أمس قد راقنى إلى أبعد حد . إنه نموذج للابن الذى طالما تمنيته لنفسى !.. وما أريد أن أقترحه هو ..

الأم : لا يهمنى أن أسمع منك اقتراحا ما يا لورد ألنجورث !

اللورد : (**مستطردا**) إنى طبقا لقانوننا الإنجليزى السخيف عاجز عن الإقرار بنسب جيرالد الشرعى إلىّ . لكن فى وسعى أن أورثه أملاكى .. وأقترح أن ...

الأم : قلت لك إن ذلك أمر لا يهمنى .. فلتذهب !

اللورد : سوف يبقى الفتى معك ستة أشهر من السنة ، ومعى أنا بقية السنة .. ولك أن تطلبى المال الذى تريدين ، ولا تخشى حرمان جيرالد من الإرث ، فما أنا بحاجة إلى أن أؤكد لك أنى لست أفكر ألبتة فى الزواج !

الأم : لقد جئت متأخرا . لم يعد ابنى بحاجة إليك !

اللورد : ماذا تعنين يا راشيل ؟

الأم : فلتطل من النافذة على الحديقة (**ينهض فيتجه إلى حيث تشير ، ولا يلبث أن يجفل مأخوذا !**) خير لك أن لا تدع بصرهما يقع عليك ، فإن مرآك يثير ذكريات غير سارة !.. إنها تحبه ، كلاهما يحب صاحبه .. وقد بتنا فى مأمن منك ، وسوف نذهب بعيدا ..!

اللورد : إلى أين ؟



فلتطل من النافذة ...

الأم : لن نخبرك ، وإذا عثرت يوما علينا فلن نعرفك ! تبدو عليك الدهشة ؟ وماذا غير ذلك تتوقع من الفتاة التى حاولت أن تدنس ليلة أمس شفتيها ، والفتى الذى جللت حياته بالخزى ، والأم التى تستمد عارها منك ؟

اللورد : لقد غدوت قاسية يا راشيل !

الأم : كنت ضعيفة يوما ، لكننى لحسن الحظ تغيرت ..!

اللورد : إنى كنت يومئذ حدثا .. نحن الرجال نعرف الحياة مبكرين .

الأم : ونحن النساء نعرفها متأخرات !

اللورد : راشيل ، أريد ابنى .. إنه قد لا يكون الآن فى حاجة إلى مالى ، أو إلى شخصى ، لكننى أريد ابنى .. اجمعى بيننا يا راشيل . إنك تستطيعين لو أردت .

الأم : ليس فى حياة ابنى مكان لك . إنك لا تهمه فى شىء !

اللورد : إذن فلماذا يكتب إلىّ ؟

الأم : ماذا تعنى ؟

.. فلقد لمح اللورد على المنضدة خطاب جيرالد الذى كتبه إليه ، فتناوله .. وعبثا تحاول المرأة أن تسترده منه قبل أن يقرأه ، بحجة أن كاتبه قد ندم على ما جاء فيه بعد كتابته .. فإن اللورد يمضى فى قراءته حتى يتمه :

اللورد : لست أقر جيرالد على ما يذهب إليه من أن واجبى يقتضينى الزواج منك . لكننى فى سبيل استرداد ابنى أبدى استعدادى لأن أتزوجك يا راشيل ، وأعدك بأن تلقى منى على الدوام كل ما يليق بزوجتى من رعاية واحترام . إنى منذ الآن رهن إشارتك ...

الأم : لكننى أرفض الزواج منك يا لورد ألنجورث !

اللورد : أجادة أنت ؟

الأم : كل الجد ..!

اللورد : هل لك أن تتفضلى على بذكر الأسباب ؟ لا بد أنها شائقة !

الأم : لقد أوضحتها لابنى ..!

اللورد : أحسبها أسبابا عاطفية محضة ، فأنتن معشر النساء تعشن بعواطفكن ومن أجلها . ليس لكن أدنى نصيب من فلسفة الحياة ..!

الأم : أنت على حق ، فنحن نعيش بعواطفنا ومن أجلها . وإن قلبى لينطوى على عاطفتين يا لورد ألنجورث : حبى لابنى

وبغضى لك !.. ولن تستطيع أن تقتلع منه عاطفة منهما ، فإن كلاهما تقتات من الأخرى !

اللورد : إذن فأنت ترفضين الزواج منى حقا ؟

الأم : نعم .

اللورد : لأنك تبغضيننى !

الأم : نعم .

اللورد : وهل يبغضنى ابنى كما تبغضيننى ؟

الأم : كلا .

اللورد : لكم يسرنى ذلك يا راشيل ..

الأم : إنه يحتقرك فقط !!

● يجفل اللورد قليلا ، ثم يتمالك نفسه فينهض ويتجه متئـدا نحو المنضدة التى ترك عليها قبعته وقفازيه .. وفيما يلبسهما يلتـفت إلى محدثته :

اللورد : أحسب أنه لم يبق لى ما أفعله هنا . أهو الوداع إذن ؟

الأم : وإلى الأبد هذه المرة فيما أرجو ، يا لورد ألنجورث !

اللورد : عجبا !.. إنك فى هذه اللحظة تبدين فى نفس مظهرك الذى بدوت فيه ليلة هجرتنى منذ عشرين عاما : نفس تعبير الفم ! أقسم بشرفى يا راشيل أن ما من امرأة أحبتنى يوما مثلما أحببتنى .. ولقد وهبتنى نفسك كالزهرة ، أفعل بها ما أشاء ! (**ينظر فى ساعته**) لقد حان موعد ذهابى إلى دار ليدى هنستانتون . أعتقد أنى لن أراك هناك بعد الآن . إنه

أمر يؤسفني حقا ، فلكم كان طريفا أن يعثر المرء بين أفراد طبقته الذين يحترمهم على .. خليلته !

● تختطف مسز أربثنوت « فردة » من قفاز محدثها وتلطمه بها على وجهه ، فيجفل منتفضا من الإهانة .. لكنه يعود فيتمالك نفسه ويتجه إلى النافذة كي يلقى منها نظرة أخيرة على ابنه !.. ثم يتنهد ويغادر الغرفة .. بينما تتهالك المرأة على الكنبة وتنخرط فى البكاء !.. وبعد لحظات تسمع خطوات جيرالد وهستر تقترب ، فتجفف الأم دمعها وتنهض :

جيرالد : إنك لم تلحقى بنا فى الحديقة كما وعدت يا أماه ، فجئنا لنأخذك ... ماذا ، أكنت تبكين ؟ (**ينحنى راكعا بجانبها**) .

الأم : ابنى ! ابنى ! ابنى ! (**تعبث بشعره بأصابعها**) .

هستر : لكن لك الآن اثنين .. أفلن تجعلينى بمثابة ابنتك ؟

الأم : هل تختارينني لك أما ؟

هستر : نعم ، بين جميع من عرفت من النساء !

● ويتجه ثلاثتهم متخاصرين نحو الباب المفضى إلى الحديقة .. لكن جيرالد يلمح قفاز اللورد ألنجورث ملقى على الأرض ، فيلتقطه متسائلا :

جيرالد : أماه ، قفاز من هذا ؟ من كان يزورك ؟

الأم : (**تستدير إليه**) أوه ، لا أحد .. لا أحد ذو صفة .. رجل .. لا وزن له !

(ستار)

مسرحية الربيع !

يسرنى أن أقدم لك اليوم لونا من ألوان إنتاج أديب الهند الأكبر « رابندرانات تاغور » . هذا العبقرى ، الذى يرفعه الهنود إلى مرتبة أنبياء الفكر فى الشرق ، والذى يضعه الغربيون مع حكيم روسيا الأكبر « تولستوى » ، فى مرتبة واحدة !

ولقد كان « تاغور » يتنقل بين ميادين الفكر والأدب ، تنقل النحلة بين الزهور . فنظم الشعر ، وكتب القصص القصيرة والروايات الطويلة ، وألف المسرحيات . وكان يستمد موضوعاته من الحقيقة والواقع ، ومن الخيال والأساطير ، على السواء . والمسرحية التى أقدما لك تعتبر مسرحية الربيع بحق . وقد قال « تاغور » عنها : « اعتدت أن أؤلف جميع مسرحياتى فى فصل الشتاء ، لأنه فصل الاستجمام عندى .. إلا « تشيترا» ، فقد كتبتها فى الربيع ! » .. وقد وضعها فى البداية شعرا بلغة « البنغال » ، ثم ترجمها بقلمه إلى الإنجليزية .

القصة التى استمد منها « تاغور » فكرته

● نذر البطل الهندى المحارب « أرجونا » للآلهة أن يظل اثنى عشر عاما أعزب !.. وفيما هو يهيم فى الأرض ، وصل إلى (مانيبور) ، حيث التقى بتشيترا ، ابنة ملك البلاد ، فأعجب بها ، وتقدم إلى أبيها طالبا يدها .. وإذ ذاك أنبأه الملك أن أحد أجداده القدامى من ملوك

(مانيبور) ظل شطرا كبيرا من عمره عقيما ، لا ينجب ، فأخذ يتوسل إلى الآلهة ، ويقدم القرابين ، راجيا أن يؤتى وريثا .. إلى أن أشفق عليه الإلٰه « شيفا » ، فوعده بأن يرزقه ولدا ، على أن لا ينجب كل فرد من سلالة هذا الولد سوى ولد واحد ذكر ، فتقبل « تشيترا فاهانا » — الملك — هذا الوعد بالرضى .. وهكذا سارت السلالة ، حتى قدر للإلٰه أن يتنكب وعده ، فرزقه بابنة عاملها كولد ، ونشأها على الرجولة والفروسية والصراع ، لتخلفه فى الحكم .

وقال الملك للشاب : « إنها الوريث الوحيد لى ، وبغيرها تصبح أسرتى منقرضة ، لذلك فلا بد أن يكون الابن الوحيد الذى تنجبه ابنتى ، وريثا لها على عرش الإمارة ، وحلقة لاستمرار السلالة . فإن شئت أن تتزوج من ابنتى ، فالمهر الوحيد هو ابنكما ! » .

ورضى « أرجونا » ، وتزوج من « تشيترا » . وعاش معها فى عاصمة أبيها ٣ سنوات ، حتى إذا أنجبا ولدا ، شعر بأن لا بد له أن يتوارى عن هذا الولد ، ليتركه للمستقبل الذى ارتضاه له قبل الزواج من أمه . ومن ثم عانق زوجته ، وقبل ابنه ، وانطلق يواصل أسفاره وهيامه !

وقد أوحت هذه الأسطورة ، وما تضمنته نهايتها من تضحية نبيلة ، بالمسرحية التالية لتاغور :

الفصل الأول

● لم تشعر « تشيترا » ـــ ابنة ملك البلاد ـــ يوما بأنها أنثى ، حتى التقت بالمحارب البطل « أرجونا » ، الذى أيقظ فى أعماقها أحاسيس غريبة عليها ، فإذا هى تقع فى هواه ، وتكره « رجولتها » ، وترتد إلى « الأنوثة » تحاول أن تبهره بها .. ولكنه لا يكترث لها ، بعد إذ نذر نفسه للآلهة !

وفى غمرة حيرتها ، تلتقى « تشيترا » فى الغابة باثنين من الآلهة . « مادانا » إلـٰه الحب ، الذى يعرفها بنفسه قائلا : « أنا المولود الأول فى صميم قلب الخالق الأعظم .. أسعد حياة الرجال والنساء ، أو أربطهم بروابط الألم ! » .. أما زميله ، فيقدم نفسه إليها قائلا : « أنا « فاسانتا » ، ملك الفصول والحياة .. إن الموت والذبول يحومان حول العالم حتى الفناء ، ولكنى لا أفتأ أتعقبهما وأطردهما .. إننى الشباب الدائم ! » .

وتعرفهما « تشيترا » بنفسها ، ذاكرة كيف وعد الإلـٰه «شيفا» بأن يمنح كل ملك من أسرتها ابنا واحدا ، يكون دائما من الذكور ، ليرث الملك ويتولى السلطان ، ولكن .. « ولكن الكلمة الإلـٰهية لم تـغير اتجاه شرارة الحياة الكامنة فى رحم أمى .. فجئت فى صورة امرأة ، وإن كانت لى طبيعة الفتيان الأشداء !. وهذا هو السبب الذى جعلنى

أرتدى زى الرجال ، وأعيش جاهلة بكافة حيل النساء لكسب قلوب المحبين .. فإن يدى اعتادتا حمل القوس ، و لكنى لم أتعلم فن « كيوبيد » فى الرماية ، حين يسلط السهام من عينيه ! » .

مادانا : وهل هذا يحتاج إلى علم أو دراسة ؟.. إن العين تفعل فعلها بغير تعليم ، والمحب يعرف من الذى أصابه بسهمه !



تشيترا: أذكر أننى كنت أتجول يوما فى الغابة وحدى ، حتى بلغت شاطئ نهر (**بورنا**) ، فنزلت عن جوادى ، وسحبته بين فرجة فى الغابة .. وإذا بى أجدنى فجأة أمام رجل اضطجع على حشية من الحشائش والأوراق المتساقطة ، فكان بوضعه ذاك يعترض طريقى . ونهرته ، آمرة إياه أن يتنحى ، ولكنه لم يحرك ساكنا ، فغمزته — فى تحد — بسن قوسى ، وإذا هو يقفز منتصبا بأطرافه الضخمة ، كلسان من لهب ينبعث على حين غرة من

كومة من الرماد !.. ولعبت ابتسامة ساخرة على جوانب فمه ، لعل مرجعها إلى مظهر الفتيان الذى رآنى عليه . إذ ذاك شعرت — لأول مرة فى حياتى ! — بأننى امرأة ، وبأن أمامى رجلا ! ذلك الرجل هو « أرجونا » ، البطل الذى طالما أعجبت به ن أن تراه . وتمضى « تشيترا » فى حديثها للإلٰهين :

« ورحت أسائل نفسى : أهذا حقا « أرجونا » ، فارس أحلامى العظيم ؟.. أجل !.. ولقد سمعت منذ زمن كيف نذر للآلهة اثنتى عشرة سنة من عمره يقضيها فى عزوبة !.. ولكم تمنيت منذ صغرى أن أمتشق حربتى وأنازله ، حتى أبرهن له على مهارتى !.. ولكن ، أواه يا قلبى الساذج المسكين !.. أين ذهبت خفقاتك ؟.. أوَأستطيع أن أعود إلى بداية عمرى ، فأبدل من نهجى ، وأخرج عن تنكرى ومكابرتى ، وأنزل عن كل حقوقى وأبهتى ، لألثم الثرى تحت قدميه ، طلبا لرضاه ؟

« .. وعندما أفقت من دوامة خيالى وتفكيرى ، كان هو قد غاب عن ناظرى .. يا لى من امرأة غبية !.. ما استطعت حتى أن أحييه .. ولا أن أناشده الصفح عما بدر منى !.. وفى الصباح التالى ، بادرت فنحيت عنى ثياب الرجال ، وأحطت معصمى وقدمى بالأساور ، وزينت أذنى بقرطين ، ولففت حزاما حول خصرى ، وارتديت ثوبا موشى بالخرز الأحمر . وكان هذا الملبس الذى لم أعتده يذيبنى حياء ، ويصبغ وجنتى بحمرة الخجل ! » .

راحت « تشيترا » تبحث عن « أرجونا » حتى عثرت عليه فى

معبد الإلٰه « شيفا » فى جوف الغابة . و لم تقو — لفرط حيائها — على النطق .. بينما صارحها « أرجونا » بما كان من نذره للآلهة .. وإذ ذاك عادت الفتاة إلى القصر ، فكسرت قوسها ، وألقت بسهامها فى النار !

ثم تمضى قائلة للإلٰهين :

« منذ تلك اللحظة كرهت قوتى ، وذراعى المفتولتين ، وزهدت شكل وتر القوس .. أيها الحب ! ألست أنت الذى بث فى طبيعتى الترابية الفانية ، هذه الكبرياء الجوفاء ، والزهو بالقوة المماثلة لقوة الرجل ؟!.. ها قد صار كل مرانى هباء عند قدميك !.. ألا لقننى فنونك !. امنحنى القوة التى تنبعث من الضعف الأنثوى الفتاك ، وسطوة السلاح السحرى الذى تلوح به اليد الناعمة وهى عزلاء ! » .

مادانا : سآتيك بالبطل أرجونا — الذى يقهر العالم — أسيرا ، مهزوما ، أمامك ، لينال من يديك جزاء تمرده !

ولكنها لا تريده مهزوما ، فتقول :

« إننى أسعى — فى مظهر الفتيان — لأقف إلى جانبه كصديق حميم : أقود الجياد الجامحة التى تجر مركبته الحربية ، وأدبر له فرص الاستمتاع بالمطاردة والقنص ، وأقف — فى الليل — بباب خيمته أحرسها ، وأعاونه فى جميع المهام العظيمة التى ينهض بها ، فأنتصف للضعيف ، وأنشر العدل .. لو أننى فعلت هذا ، فلا بد أن يأتى الوقت الذى يلتفت فيه « أرجونا » إلىّ ، ويناجى نفسه مأخوذا : « أى فتى هذا ؟! » .. لست أنا المرأة التى تجتر همومها فى الوحدة القاتلة ، ترويها بالدمع المنهمر فى

الليل ، وتغلفها بالصبر المصطنع والابتسامة الخادعة فى النهار . ولكن هذا — للأسف ! — عمل طويل ، وبرنامج يستنفد العمر كله . لذلك جئت إلى بابك ، يا إلٰه الحب القاهر ، وإليك ، أيها المولى « فاسانتا » — إلٰه الفضول والشباب الدائم — لتخلصا جسدى الصغير من قسمته غير العادلة التى قدرت له ، ومن حظه الضئيل من الجمال والجاذبية !.. اجعلانى آية من آيات الجمال ليوم واحد ، وسأتولى بنفسى أمور ما بعد ذلك من أيام ! » .

ويهبها الإلٰهان ما تطلب ..

«لا ليوم واحد لا غناء فيه، بل لعام كامل، تبدين خلاله فى ربيع دائم!».

الفصل الثانى

● **ويحقق** الإلٰهان وعدهما ، فتظهر « تشيترا » لأرجونا فى الغابة . فى صورة امرأة مكتملة الحسن والبهاء !.. وفى معبد « شيفا » ، يركع « أرجونا » أمام الإلٰه يناجيه ويبثه لوعته :

أرجونا: لقد خيل إلى أنَّ قلب الأرض قد رقص طربا تحت قدميها العاريتين . بل خيل إلى أن الغلائل الرقيقة ، التى تحتضن جسدها المرمرى ، تكاد تذوب فى الهواء لفرط النشوة ، كما يذوب ضباب الفجر الذهبى فى دفء الخيوط الوضاءة المنسابة من المشرق !.. وانحنت حوريتى تحدق فى مرآة البحيرة اللامعة ، فرأت هالة وجهها .. ثم نصبت قامتها الفارعة ، ووقفت ساكنة . وما لبثت

أن .. أن ابتسمت . أأقول ابتسمت ؟.. لم لا أقول افتر ثغر القمر ؟!.. ومدت ذراعها اليسرى — فى غير اكتراث — فأرسلت شعرها ، وتركته ينساب إلى الأرض عند قدميها . ثم كشفت عن جيدها ، وتأملت ذراعيها وتناسقهما البديع .. وأحنت رأسها تتأمل شبابها المتفجر حيوية وجاذبية ، وجسمها البض الذى يشبه زهرة ريانة يانعة ، فبدت جذلانة ، تتألق بالفتنة ، وتزهو بالجمال . ثم غابت عن عينى ، كأمسية حلوة غيبها الليل فى أطوائه الكثيفة !.. إن الواقعة كلها — فيما يتراءى لى — ليست إلا وهما ، أو حلما من أحلام اليقظة ، صوره لى الخيال ، أو هى وقدة الرغبة تمثلت فى صورة طيف أو حسناء من دم ولحم .. ثم ذابت ، وتلاشت !

وتدخل « تشيترا » المعبد فى ثياب النساء ، فترحب به — بزعم أنها من كاهنات المعبد ، متجاهلة أنها كانت تعرفه ، لتستدرجه إلى حبها — وتسأله كيف تكرمه ، فيقول :

أرجونا: إن اكتحال العينين بمرآك هو فى الواقع أقصى حدود الضيافة والكرم !.. ترى أى نذر هذا الذى يحبسك فى هذا المعبد المنعزل ، فيحرم الناس جميعا من اجتلاء هذا الجمال الرائع ؟!

تشيترا: إننى أطوى بين جوانحى أمنية لا أبوح بها ، وأنا أرفع كل يوم دعواتى للإله « شيفا » ، عسى أن يحققها لى !

أرجونا: عجبا !.. ما الذى يمكن أن تتمنيه على الإله ، وأنت أمنية العالم أجمع ؟!.. لقد حملتنى قدماى من أقصى قمم الشرق — حيث

تمد شمس الصباح قدميها الفاتنتين — إلى أقصى بقعة تغرب عندها الشمس ، وصادفت كل ما فى الكون من نفيس ، وجميل .. فهاك خبرتى وخدمتى رهن إشارتك ! يكفى أن تذكرى لى عم تبحثين ، أو عمن تسألين ؟

تشيترا: إن من أبحث عنه معروف للجميع .. إنه سليل أعرق البيوت الملكية .. إنه بطل يعلو على جميع الأبطال !

أرجونا: لا تجودى يا سيدتى بمثل هذا الجمال النادر ، الذى تنفردين به ، من أجل إشاعة زائفة لا تستند إلى الحقيقة ! إن الشهرة الزائفة تنتقل من لسان إلى لسان ، كضباب الفجر الذى يغشى الكون قبل أن تبدده إشراقة الشمس .

ويلحف عليها ، فلا تلبث أن تصارحه — فى تخابث — بأن الحبيب الذى تنشده هو :

« أرجونا الذى أخضع الدنيا ! ولقد التقطت هذا الاسم الخالد من أفواه الجمع الحاشد ، وأخفيته فى فؤادى الأنثوى بحرص ! » ..

فيصارحها بدوره بأنه هو « أرجونا ، الضيف الذى يطلب زاد الحب عند بابك ! » .

تشيترا: إذن ، فليس صحيحا أن « أرجونا » قطع على نفسه عهدا بأن يظل أعزب مدى اثنتى عشرة سنة ؟

أرجونا: ولكنك حللتنى الآن من هذا العهد ، كما يحل القمر الليل من أن تلفه الظلمة بأستارها الكثيفة الثقيلة !

تشيترا: يا للعار !.. ماذا رأيت فىّ حتى أصبحت تغالط نفسك ؟..

عمن تبحث وراء هاتين العينين السوداوين ، وهاتين الذراعين البيضاوين كاللبن ، حتى تقدم لى الثمن على حساب عهدك الذى قطعته على نفسك ؟.. ليس هذا لشخصى ذاته ، فيما أعتقد . ويقينا ليس هذا هو الحب ، ولا يمكن أن يكون هذا هو الإخلاص الحقيقى من الرجل للمرأة !.. واأسفاه ، إن هذا المظهر الخارجى — هذا الهيكل — قد يضلل الإنسان ، فلا يستطيع أن يرى الضوء المنبعث من الروح الخالد !.. لقد أدركت الآن يا « أرجونا » أن شهرتك وبطولتك وعظمتك ليست سوى مظاهر زائفة !

أرجونا: إننى لأعلم كم هى عبث هذه الشهرة .. هذه البطولة المتشامخة !.. كل شىء يبدو لى الآن كحلم .. أنت وحدك الحقيقة !.. أنت غاية كل مطلوب ، ونهاية كل جهد .. أنت المرأة الوحيدة فى هذه الدنيا !

وتشتد الحسرة بتشيترا ، إذ ترى أنه فتن بالجمال الموقوت الذى خلعه عليها الإلـٰه ليمكنها من اجتذاب « أرجونا » .. ولكن مقاومتها لا تلبث أن تفتر ، فهى تناجى نفسها قائلة :

« هل أظل أواجه منه هذه النظرات الحائرة ، وهل أظل أشعر بقلبه قلقا يحاول أن يحطم الضلوع ويجهر بالرغبة المتقدة التى يخفيها فى أعماقه ، ثم أنحيه عنى مع ذلك ؟.. لا ، لا يمكن ! » .

وإذ ترى الإلـٰه « مادانا » تهتف به :

« أواه ، يا إلـٰه الحب !.. أى لهيب مروع هذا الذى نفخته فى .. إننى

أحترق .. أحترق ، وأحرق كل ما ألمسه ! » .

وتروى له كيف التقت بحبيبها « أرجونا » ، ثم تقول :

« إن حياتى الماضية كلها ، بل تاريخ وجودى كله — قبل اليوم — غدا فى طيات النسيان .. لم أعد أحس بغير شعور الزهرة الحالمة التى تطل على الدنيا بعينى جمالها ، وليس لها سوى سويعات تصغى فيها إلى مناجاة الثناء والإطراء ، وتمتمات الإعجاب ، قبل أن تخفض عينيها ، وتهبط من عليائها ، وتحنى رأسها فوق صدرها ، ثم تسلم أنفاسها الأخيرة ، وتتهالك فى التراب لتستسلم للعدم بلا صراخ ولا ضوضاء » !..

وتذكر أنها كانت مستلقية على الحشائش — فى الغابة — وقد غشيتها إغفاءة ..

« وفجأة ، أحسست بنظرة مشبوبة ، كأنها أصابع من لهب تمس جسمى ، فاستيقظت .. وإذا بى أرى ذاك الناسك واقفا أمامى . وكان القمر قد انحدر نحو الغرب ، وتسللت خيوطه بين أوراق الشجر ، لتشهد هذه الطلعة المهيبة ، الباهرة ، التى تتمثل فى شكل إنسان !.. وخيل إلى — وأنا أفتح عينى — أننى قد مت ، وأن كل معالم الحياة قد ماتت معى ، وتحولت إلى حلم ولد لتوه فى أرض عجيبة تلفها الظلال !.. وهتف : « يا حبيبتى الغالية ! » ..

فاستجمعت حياتى فى أنفاسى المبهورة ، واندفعت ملبية النداء . ومددت ذراعى نحوه . وأخفى القمر وجهه خلف الأشجار ، فتوارى كل شىء فى كنف الظلام ، وامتزجت السماء والأرض ، والزمان والمكان ، والسرور والألم ، والموت والحياة .. امتزجت كلها فى نشوة

لا يحيط بها الوصف ! » ..



وعندما استيقظتْ فى الصباح ، تذكرت كل شىء ، فنأت عنه ، وحاولت أن تبكى .. ولكن الدموع استعصت عليها !

وهتف إلـٰه الحب :

« مسكينة أنت ، يا ابنة الفناء !. إننى سرقت لك من المخزن الإلـٰهى خمر السماء المعتقة ، فأترعت منها ليلة من لياليك على الأرض ، وأسلمتك إياها لتشربى .. فإذا بك ، مع ذلك ، تصرخين وتجأرين بالشكوى ! » .

تشيترا: (**فى مرارة**) إنما قدمت لى الظل دون الأصل .. السراب لا الشراب !.. إنما لوحت لى ببداية الحب ، وطرحتنى فى أتونه . أما الحب ذاته ، فقد طار من قبضتى !.. هذا الجمال المستعار الذى خلعته على ، سيذهب عنى ، ويأخذ معه الذكرى الوحيدة لهذا اللقاء السعيد !.. ولقد تبينت ـــ حين استيقظت

في الصباح — أن جسمى هو غريمى الأول .. فمن أبغض الأمور إلى نفسى أن أحمل هذه الصورة كل يوم ، وأقدمها لحبيبى ، وأن أراه يقبل شكلى دون نفسى .. ألا استرد هبتك ، أيها الإلـٰه ! » .

ولكن الإلـٰه يذكرها بأن من القسوة أن يسترد الجمال الذى خلعه عليها ، فيحرم حبيبها من الكأس ، ولما يكد يتذوق منها أولى قطرات السعادة . وهنا يتدخل الإلـٰه « فاسانتا » وينصح « تشيترا » بأن تتريث إلى أن يحين الخريف .. « حين ينقضى فصل الأزهار ، ويأتى دور جنى الثمار ، وينتصر اللباب على القشور !.. فلسوف يحين الوقت الذى يذبل فيه ما للجسم من زهرات يانعة ، فيسر « أرجونا » عندما يرى الثمار الحقيقية ، التى تبدين بها إذ ذاك ! » .

الفصل الثالث

● **ويدعوها** « أرجونا » إلى الزواج .. إلى أن تشاطره بيتا واحدا ، فتقول :

« البيت ؟!.. ولكن هذا الحب ليس مكانه البيت !.. خذ إلى البيت ما هو دائم ، ثابت ، قوى ، ودع الزهرة البرية الصغيرة حيث ولدت !.. دعها فى ثوب جمالها ، تواجه مصيرها ، وتموت فى نهاية الأيام بين سائر البراعم الذابلة والأوراق الجافة !.. حسبك أن تأخذ بحظ مما يتاح لك .. اغنم ، وانعم ، واغترف منه حتى ينفد ، ولكن ، لا تسل

لماذا نفد ، ولا تأس لأنه انتهى !.. خذ من ليلتك كفايتك للصباح ، فى غير إتخام .. ويكفى أن تتزود فى يومك بالزاد الذى لا يفيض عن حاجتك ، حتى لا ينتابك الخوف ، أو الندم ، أو الجشع ، وحتى لا تفسد سعادة الحاضر وهناءة الساعة التى أنت فيها !.. حبيبى ! دع المخاوف والأفكار تغرق فى لقاء عارم بين شفاهنا الظمأى ! » .

على أن الحيرة لا تلبث أن تستبد بأرجونا .. إن حبه يوشك أن يشغله عن واجباته ، كمحارب وناسك !.. وهو فى غمرة السرور ، يتلفت بحثا عن شيء يضمن له بقاء الحب والنشوة ، فلا يجد ، ويعود إلى الإلحاح على « تشيترا » لتقبل الزواج منه ، لأنه والقلق يحتوى نفسه لا يرى الأمان إلا فى « البيت » ..

فتسأله : « ولم هذا القلق ؟.. هل انقضت ساعات السرور التى تجل عن الوصف ؟ » .. فيقول : « إنما خيل إلىّ دائما أننى أكاد أفقدك .. قلبى غير مطمئن ، وعقلى لا يعرف السلام !.. أحيطى نفسك بالسياج الذى يحمل الاسم والبيت والأهل !.. هبينى شيئا أتشبث به .. شيئا يمكن أن يدوم أكثر مما يدوم السرور العارض ، ويقوى على البقاء تحت ضغط المتاعب والتجارب ! » .

ولكنها تتهرب من الزواج ، خشية أن يزول جمالها المستعار فى نهاية العام ، فتقول له :

« إن العام لم يبلغ نهايته بعد ، ومع ذلك فإنى أرى أنك بدأت تشكو !.. هل أدركت الآن أن حكمة السماء هى التى اقتضت أن يكون عمر الزهور قصيرا !! إن أيام الحب معدودة ، فلا تدخرها ، وإنما

اعصر الجنى ، واجمع الشهد فى أوانه ، فإن المخاوف لن تدع قلبك يطمئن أو يهدأ ! » .

وتحين الليلة الأخيرة فى عمر منحة الإلـٰهين .. الليلة الأخيرة فى عمر الجمال ، فتتوسل « تشيترا » إلى « مادانا » و « فاسانتا » قائلة :

« عندما تأتى الساعة الأخيرة ، فى هذه الليلة ، فاجعلا جمالى يبدو فى أبهى صوره .. كما يبدو الشعاع فى آخر خفقاته ! » .

الفصل الرابع

● وفى تلك الأثناء ، تتعرض البلاد لنذر إغارة اللصوص من المرتفعات الشمالية ، فيدب الذعر فى القلوب . ويسأل « أرجونا » القوم الخائفين : « أليس لديكم فى هذه المملكة حارس يحميها ؟ » ..

ويواتيه الجواب بأن الأميرة « تشيترا » كانت تلقى الذعر فى قلب كل من يفكر فى العدوان ، ولكنها غابت عن المملكة فى سياحة ، فيقول :

« أتريدون أن تقولوا إن حارس المملكة .. امرأة !؟ » ..

فيقولون :

« أجل .. هى أبونا وأمنا ! » .

وما أن ينصرفوا ، حتى تقبل « تشيترا » ، فيقول لها أرجونا :

« ترى أى نوع من النساء يمكن أن تكونه تلك الأميرة تشيترا ؟ » ..

وتجيب بأنها ليست جميلة ، ولكنها ببراعتها تستطيع أن تصيب أى هدف ، عدا قلب البطل « أرجونا » .

فيقول لها :

« كأنى بقلبها يحمل رقة الأنوثة ، رغم أنها كأشجع الرجال فى الجرأة والبطولة ! » ..

فتقول :

« وهذا سر شقائها !.. إن المرأة حين تكون مجرد امرأة .. حين تنطلق على سجيتها الأنثوية ، تكون سعيدة !.. ماذا يجدى المرأة أن تكون على درجة عظيمة من العلم ، أو على قمة الانتصارات والمغانم فى ميدان الحرب والفروسية ؟!.. لو أنك رأيت « تشيترا » وهى فى ساحة معبد الإلٰه « شيفا » ، أمس ، لمررت بها مستنكفا أن تعيرها أتفه التفاتة .. ولكن ، نبئنى .. هل زهدت جمال المرأة الماثلة أمامك ، فأخذت تتطلع إلى ما فى تلك المرأة الأخرى من رجولة ؟! » .

وتحاول أن تجتذبه إلى جلسة غرامية فى الغابة ، ولكنه يعتذر متعللا بقرب هجوم اللصوص ، فتطمئنه إلى أن « تشيترا » قد بثت رجالها لحراسة الحدود ، ولكن « أرجونا » يصر على الذهاب للقتال ، فتصيح :

« اذهب ، إذن .. اذهب ما دمت تشعر أنك قد ارتويت وفاضت بك الكأس .. أما إذا لم تكن قد بلغت هذا الحد ، فاذكر أن ربة السرور سريعة الغضب ! » ..

وإذ تتبين أن قلقه يرجع إلى أنه يفكر فى « تشيترا » ، تقول له :

« وما الذى أوتيته تلك التعسة ؟.. إن ميزاتها بالذات أشبه بجدران السجن ، تحبس قلبها الأنثوى فى زنزانة خاوية من الحسن ! إنها محرومة من الجمال ، وما أشبهها بروح صباح كئيب ، تقتعد ذروة جبل صخرى ،

وقد غامت السحب الداكنة فحجبت عنها كل ضياء !.. ولا تسل عن سيرة حياتها ، فهى ليست مما يطيب لأذن رجل ! » ..

ولكنه يقول مشوقا إلى أن يعرف عنها كل شيء :

« إننى كالمسافر الذى وصل إلى مدينة غريبة عنه ، فى منتصف ذات ليلة ، فإذا القباب ، والأبراج ، والأشجار فى الحدائق ، تبدو للعين باهتة .. وخرير مياه البحر يتناهى إلى أذنيه خلال السكينة التى ترافق النعاس ، وكأنه أنين مبهم !.. فلا جرم إذا أخذ هذا الغريب يتطلع إلى انبلاج الصبح بصبر نافد ، ليتكشف أمام عينيه كل شيء !.. أواه !.. هلا حدثتنى عن أمرها ؟ لشد ما يخيل لى أننى أراها .. أبصرها بعين الخيال ، على صهوة جواد أبيض ، تمسك العنان بيسراها ، والقوس المظفر بيمناها ، وتمضى — كربة النصر — تهب كل من حولها أسعد الأمانى !.. ذراعاها جميلتان ، لا لأنهما تزدانان بالحلى ، وإنما لأنهما تفيضان بالقوة ! » .

ثم ينسى نفسه ، فيروح يناجى « تشيترا » ، البطلة الساحرة .

وإذ ذاك تقول له «تشيترا » ، الماثلة أمامه فى جمالها المستعار :

« أصدقنى القول يا أرجونا !.. هل تحتمل المفاجأة ، إذا أنا استطعت — فى هذه اللحظة — أن أنفض عن جسمى بمعجزة ما هذه الفتنة الرقيقة ؟.. وإذا أنا وقفت أمامك شامخة ، قوية ، مطهرة من الضعف النسوى ، فهل أروق فى عينى البطل ؟ » .

وتتوزعه الحيرة فيقول :

« إخال أننى لا أعرفك على حقيقتك . لكأنى بك ربة تتخفى وراء

صورة ذهبية !.. فمن خلال نظراتك العميقة الحزينة ، وكلماتك الحافلة بمختلف المعانى ، والزاخرة بالسخرية ، ألمح بصيصا يكشف عن محاولة مترددة ، لإفشاء سر النعمة العظيمة التى يرفل فيها جسدك هـذا ، وللكشف عن نار مطهرة من الألم تشتعل خلف ستر رقيق من البسمات !.. إن التخيل هو أول مظاهر الحقيقة .. فإن الحقيقة تسعى إلى حبيبها متنكرة ، ثم لا يلبث أن يأتى الوقت الذى تتخلى فيه عن زخرفها ، فتقف مسربلة بالكرامة والجلالة المجردين !.. لكم أشقى فى اقتناصك أيتها الحقيقة العارية » .

ويجزع أرجونا عندما يراها تدفن وجهها فى راحتيها باكية ، فيأخذ فى التسرية عنها .

الفصل الخامس

● ولكن ساعة استرداد الآلهة منحتها لا تلبث أن تحين .. وتقف « تشيترا » أمام « أرجونا » متدثرة فى عباءة ، فتقول له :

« هل نضب المعين إلى آخر قطرة فيه ؟.. أهذه هى النهاية حقا ؟.. لا ، بل سيبقى — بعد انتهاء كل شىء — أمر جوهرى ، هو القربان الأخير الذى أضعه عند قدميك !.. لقد أحضرت من رياض الفردوس زهرات رائعة الجمال ، لا نظير لها ، لأقدمها قربانا أتقرب به إليك يا إلـٰه قلبى ، فإذا كنت قد أتممت شعائرى ، وإذا كانت زهراتى قد ذبلت ، فدعنى

أقذف بها بعيدا ! » ..

وتخلع العباءة عنها ، فتتكشف فى صورتها الحقيقية ، وزيها القديم ، وتقول :

« انظر !.. لست جميلة كالزهرات التى كنت أقدمها فى تعبدى لك .. إن نصيبى من العيوب والدمامة كبير .. إننى رحالة فى طريق طويل لا حدود له : ثيابى قذرة ، وقدماى تدميهما الأشواك ، فكيف أستطيع أن أحتفظ بجمال الزهرة النظيفة ، اليانعة ؟.. إن المنحة التى أحملها إليك — مزهوة — هى : « قلب امرأة » !.. هنا ، فى هذا القلب تتجمع كل الأفراح وكل الآلام ، وكل الآمال وكل المخاوف ، وكل الخجل والحياء اللذين يخامران فتاة خلقت من تراب !.. هنا يهب الحب مناضلا فى سبيل حياة باقية خالدة .. هنا تكمن الصورة الحقيقية للإنسان الحقيقى .. صورة قد تكون ناقصة ، ولكنها نبيلة ، رائعة ، لأنها صادقة !.. وإذا كان نفع الزهرة قد انتهى ، فتقبل يا سيدى هذا الإنسان الماثل أمامك ، خادما لك على مدى الأيام !.. أنا تشيترا !.. لقد منحتنى الآلهة أعظم فتنة تتاح لفتاة من بنى البشر ، لعام واحد ، فأثقلت قلب بطلى بهذا المظهر الخادع . أما الآن ، لم أعد تلك المرأة .. أنا « تشيترا » !.. لست ربة تعبد ، ولست أيضا شيئا يرثى له ، وينحى جانبا فى غير احتفال ، كفضلات المائدة . فإذا سمحت لى بأن أشاركك حمل الأعباء الجسام التى تواجهك فى حياتك ، فلن تلبث أن تعرفنى على حقيقتى . أما إذا نأيت عنى لواجباتك ، وجاء الجنين الذى أحس به فى

أحشائى ذكرا ، فسأعلمه بنفسى ، وأدربه ، حتى أجعل منه «أرجونا» آخر ، ثم أرسله إليك إذا آن الأوان . وإذ ذاك ، ستعرفنى فى النهاية على حقيقتى . أما اليوم ، فكل ما أملك أن أقدمه إليك هو : « تشيترا » ، ابنة الملك ! » .

ويندفع إليها « أرجونا » هاتفا : « يا حبيبتى ! ... لقد اكتملت حياتى » !.. وبينما يتعانق الحبيبان ، تسدل الستار .

هذه الصرخة الإنسانية !

● أيهما أقوى .. وأسمى .. وأولى :
الرحمة .. أم العدل ؟
الحب .. أم العقل ؟
الفرد .. أم المجتمع ؟

منذ كتب « فيكتور هوجو » قصته الخالدة : « البؤساء » .. ومنذ شن « ديكنز » فى قصصه العديدة حملته الشعواء ضد نظم السجون ، وضحاياها .. لم يسمع العالم المتمدين أقوى من هذه الصرخة الإنسانية التى أطلقها الكاتب الإنجليزى « جون جالسورثى » ــ الفائز بجائزة « نوبل » فى الأدب سنة ١٩٣٢ ــ دفاعا عن حق مجرم المصادفة ، لا مجرم السليقة والاحتراف ، فى أن يمنح الفرصة للتكفير عن سابقته الأولى التى تتبعه .. إلى حتفه !

١

● « **وليم فولدر** » شاب فى الثالثة والعشرين ، مرهف الإحساس ، يعمل موظفا فى مكتب للمحاماة يشترك فيه محام وابنه الشاب . وقد بلغ من رقة إحساس « فولدر » أنه عطف على زوجة رجل سكير شرس ــ تدعى « روث هانيويل » ــ فقرر أن ينقذها من زوجها بالفرار بها من البلاد ، مع طفليها ! ولكى يتيسر له تنفيذ هذه الخطة تورط

فى اختلاس مبلغ صغير من المال من مكتب مرؤوسيه المحامين .. لكن فعلته اكتشفت قبل أن يغادر ومعشوقته البلاد بساعات !

وحين تبدأ القصة نرى رؤساءه فى مكتب المحاماة منقسمين بصدد جريمته إلى فريقين : فريق — على رأسه المحامى الابن « والتر هاو » والباشكاتب « كوكسون » — يرى أن يعامل الشاب بشىء من الرأفة ، نظرا لأن فعلته هى السابقة الأولى فى حياته ، ولأن الدافع الأكبر إلى ارتكابها إنما هو دافع عاطفى ، إنسانى !

أما الفريق الثانى من هيئة المكتب — ويتزعمه المحامى الأب « جيمس هاو » — فيرى على العكس وجوب استعمال الشدة فى معاقبة الموظف المختلس ، سيما وأن جريمته كان يمكن أن تنسب إلى زميل آخر له من موظفى المكتب !.. ويضيف المحامى الكبير إلى هذه الحجة قوله :

« لست أفهم كيف يمكن أن نتغاضى عن فعلته أو نصفح عنه ، فمن غير المعقول أن نحتفظ به فى المكتب بعد أن ثبت افتقاره إلى الأمانة ، وهى ألزم الصفات .. كما أن من غير المعقول أن نتركه يمرح طليقا فى المجتمع ويختلط بأناس يحسنون به الظن ولا يعرفون خلقه على حقيقته .. فالمرء ينبغى أن يفكر فى مصلحة المجتمع قبل أى اعتبار آخر ! » .

ونتيجة لهذه الحملة تتغلب كفة الفريق المتشدد على الفريق المتسامح ، فيستدعى أحد رجال البوليس ليقتاد الموظف الشاب إلى السجن !

٢

● **فإذا** كان الفصل الثانى فقد انقضى شهران ، وحان موعد مثول المتهم أمام المحكمة ، فنرى محاميه يبنى دفاعه على أساس أن الفتى — وهو ما يزال فى سن الطيش والتهور — قد مد يده إلى المال فى لحظة ضعف ، بدافع إنسانى محض ، كى ينقذ « مسز هانيويل » من زوجها الفظ المتوحش الذى يسومها العذاب .. وبالتالى ينقذها من مصيرها المحتوم ، وهو الانفصال عن هذا الزوج إن عاجلا أو آجلا ، ثم التشرد مع طفليها فى الطرقات ، أو القبوع ذليلة فى أحد الملاجئ !.. ويدلل محامى المتهم من ذلك على قسوة المحنة التى تعرض لها موكله « فولدر » — والتى انتهت بإقدامه على ذلك الاختلاس — ثم يختم دفاعه ملتمسا سماع شهادة الزوجة التعسة « روث هانيويل » .. وإذ تجيبه المحكمة إلى طلبه ، تتقدم المرأة إلى منصة الشهود ، فنرى فيها شابة فى نحو السادسة والعشرين ، شاحبة الوجه ، هادئة القسمات ، ترتدى ثيابا بسيطة .. ثم نستمع إليها وهى تدلى بشهادتها فتقول إنها فى حكم « المنفصلة » عن زوجها منذ أكثر من أربعة أشهر ، وإنها والشاب فولدر — رغم كونهما متحابين — لم يتماديا فى علاقتهما إلى ما وراء الحدود المشروعة !.. ثم تروى قصة فرارها فتقول إنها فى يوم الحادث ، السابع من شهر يوليو ، فرت من زوجها على أثر مشادة بينهما كاد أثناءها أن يخنقها ، كما أصابها برضوض .. فلم يكد

« فولدر » يراها على هذه الحال حتى انهمرت دموعه تأثرا وبكى ، لعجزه عن تدبير المال اللازم لفرارهما المزمع إلى أمريكا الجنوبية !.. لكنه فى اليوم التالى أعطاها نقودا لشراء الثياب التى تلزم لها ولطفليها قبل الرحيل .. ثم تختم الزوجة شهادتها بالقول إن حبها لفولدر هو « الشيء الوحيد الذى له اعتبار فى حياتى الآن ! » .

* * *

● ثم ينادى على المتهم ، فيعترف بجرمه ، ويردف اعترافه بالإعراب عن أساه لتعاسة « روث » ، وعزمه على تسديد المبلغ الذى اختلسه فى أقرب وقت !

وينهض محاميه المدعو « فروم » ، فيشير إلى عدم مسئولية موكله عن الفعل الذى تورط فيه دفاعا عن المرأة التى يحبها .. ويدلل على ذلك بقسمات وجه المتهم التى تظهر ضعف إرادته ، ثم ينهى دفاعه مطالبا بتبرئة « فولدر » من تهمة القصد الجنائى ومعاملته باعتباره « مريضا » .. ويقول : « وإلا فهل يحكم على شخص بالهلاك لأنه ولد ونشأ ضعيف الإرادة ؟.. إن العدالة « آلة » إذا دفعها شخص الدفعة الأولى ، تسير بعد ذلك من تلقاء ذاتها بقوة تلك الدفعة . فهل يترك هذا الشاب لتسحقه تلك الآلة الصماء سحقا ، من أجل فعل أسوأ ما يقال فيه إنه صدر فى ساعة ضعف ؟.. اسجنوه ، وأنا أؤكد لكم أنه لا محالة ضائع إلى الأبد !» .

وإذ يفرغ المحامى من مرافعته ، ينهض ممثل الاتهام ليعقب عليها ، فيسفه دعوى « الضعف المزعوم ، أو « الجنون المؤقت » ، كما يسخر من لجوء

الدفاع إلى التأثير فى المحلفين باستدعاء المرأة روث للشهادة ، بغرض إظهارها فى مظهر « الضحية » التعسة التى تستحق الإشفاق والرثاء !

وينتهى دور الاتهام ، فيترك القاضى مصير المتهم بين أيدى المحلفين ، مطالبا إياهم بأن يجيبوا فى قرارهم على هذا السؤال الحاسم : هل كان مسلك فولدر يبرر إدخاله مصحة عقلية ؟ أم أنه عاقل مسئول عن تصرفاته ؟.. ويصدر المحلفون قرارهم بإدانة المتهم .. تاركين للقاضى تحديد مدة العقوبة ومداها حسب نصوص القانون .

وقبل أن ينطق القاضى بالحكم ، يمهد له بالقول إن دعوى الجنون المؤقت الذى نسبه الدفاع إلى المتهم ليست سوى زعم باطل ، أريد به تبرير الرأفة به .. ثم يعلق على صلته بمسز هانيويل بقوله : ليس فى وسعى أن أبرر لضميرى التماسا للرأفة يكون أساسه منافيا للأخلاق .. فالقانون هو القانون ، صرح جليل يحمينا جميعا على السواء .. لذلك حكمت المحكمة عليك أيها المتهم « وليم فولدر » بالأشغال الشاقة لمدة ثلاث سنوات ! » .

ويسقط رأس « فولدر » على صدره وهم يقتادونه إلى الخارج .. وتخرج روث من المحكمة منسحقة تنوء بعبء هذه الكارثة ! وبناء على التماس من الدفاع ، يأمر القاضى بحذف اسمها من سجلات القضية التى ستنشر فى الصحف !

٣

● فإذا كان الفصل التالى فنحن فى ليلة عيد الميلاد ، وقد جـ
باشكاتب مكتب المحاماة « كوكسون » لمقابلة مأمور السجن ، على أ
زيارته لفولدر فى زنزانته . ونراه يحدث المأمور بأن فولدر فتى يتـ
الأبوين ، وأن له أختا عاجزة ، وأختا أخرى منكوبة بالزواج من رجـ
شرس يمنعها من رؤية أخيها !.. ثم يستعطفه كى يعفى السجين مـ
السجن الانفرادى ، ويسمح له بالاختلاط ببقية المسجونين ، فلقد سمـ
يقول والدموع تنحدر على أصابعه التى غطى بها وجهه : « إن يو
يقضيه المرء منفردا فى زنزانته ، منطويا على نفسه ، كما هى حالى ، لأطو
من عام كامل خارج السجن ! » .. وإذ يفرغ الباشكاتب من شر
التماسه ، يجيبه المأمور : بأن القانون يحتم بقاء المحكوم عليه فى السجـ
الانفرادى لمدة ثلاثة أشهر على الأقل !

ونعلم من حديث كوكسون مع المأمور أن المرأة « روث » كانـ
قد قررت أن تعمل لتكسب عيشها وعيش طفليها ، فى انتظا
خروج « فولدر » من السجن .. لكنها عجزت عن سد رمق الأسرة
فاضطرتها الفاقة إلى العودة إلى زوجها ! وقد بلغ النبأ الموجع مسامـ
فولدر التعس فى سجنه . ثم يختم الباشكاتب كلامه ملتمسا السماح
لروث بزيارة السجين .. لكن المأمور يعتذر بعجزه عن إجابة هـذ

الملتمس بدوره ، مستندا إلى شهادتى قسيس السجن وطبيبه بأن « فولدر » قد استعاد صحته ، الجسمية والعقلية ، بحيث لا يوجد مبرر لاستثنائه من أحكام لوائح السجن !

ويغادر « كوكسون » السجن خائب المسعى ، تاركا فولدر يواصل حياته المعتمة بين جدرانه ، محوطا بمجرمين أئمة محطمى النفوس ، يرون فى أبسط صوت يسمعونه فى الممر أملا فى نجدة قد تكون هبطت إليهم من السماء !

ويقوم المأمور بجولته المألوفة بين المسجونين ، لمناسبة عيد الميلاد ، فيشكو إليه فولدر عدم استطاعته النوم إلا لماما .. ثم يحاول أن يغتصب من أساه ابتسامة حزينة ، وهو يضيف : « لقد غدوت عصبيا للغاية ، إذ أحس بأننى لن أخرج من هذا السجن قط ! » .



وينصحه المأمور بالقراءة والمطالعة ، فيجيبه فى قنوط : « لا أستطيع . لم أعد أملك أن أركز أفكارى فى الحروف التى أقرؤها ، فإنى أفكر دائما فيما يجرى خارج السجن . إننى لا أرى العالم الخارجى على الإطلاق من زنزانتى .. إن زجاجها سميك يا سيدى ! » .

ويحاول المأمور مساعدة السجين ، فيستدعى له طبيب السجن ليفحصه ويبدى رأيه فى حالته .. لكن هذا يقرر أنه لا يجد سببا يبرر تمييزه فى المعاملة عن بقية السجناء !.. فيخرج المأمور ليستأنف جولته . وأثناء مروره ، تنتاب سجينا آخر نوبة يأس فيضرب باب زنزانته الفولاذى .. كما يلقى فولدر بنفسه على بابه فى عنف ، وهو يضرب الباب بقبضتيه المضمومتين ، فى عصبية ويأس !

ويواصل المأمور زياراته لبقية المسجونين ..

٤

● وينقضى عامان .. وتأتى روث لتزور الباشكاتب « كوكسون » فى مكتب المحاماة ، ونعلم من حديثهما أن « فولدر » خرج من سجنه بعد انتهاء مدة عقوبته ، لكنه ما يزال عاجزا عن العثور على عمل يقيم أوده .. وتضيف المرأة قائلة : « لقد التقيت به أمس . إن هيئته تقطع نياط القلوب . لقد حصل على عمل منذ حين ، لكن زملاءه لم يلبثوا أن علموا بسره ، فلم يطق البقاء فى العمل من فرط حساسيته !.. ثم حصل على عمل آخر بعد ذلك ، لكنه لم يستمر طويلا بدوره !

ويقترح « كوكسون » على « ورث أن تمد إلى فولدر يد المساعدة ، سيما وأن مظهرها الآن يوحى باقتدارها ماليا !.. لكنها تجيب محدثها فى نبرة حزينة : « لم أعد أستطيع ذلك الآن ! » .. ثم تعترف له بتطورات قصتها : لقد عجزت عن احتمال الحياة مع زوجها ، فتركته لتجاهد طيلة تسعة شهور كى تحصل على أى عمل يكفل لها ولطفليها لقمة العيش .. حتى لقد باتت تضطر أحيانا إلى حياكة الملابس للناس بأتفه الأجور . لكن العبء كان أثقل من أن تقوى عليه ، فلم تجد مفرا فى النهاية من الاستجابة لمغازلات رئيسها .. صارت عشيقته !

وتصارح « روث » الباشكاتب بأنها قد جاءت الآن تلتمس أن يعطى « فولدر » فرصة أخرى ، بإعادته إلى عمله فى مكتب المحاماة .. وتضيف أنه واقف الآن بالفعل فى الطريق ينتظر نتيجة مسعاها !.. ويستدعيه كوكسون ، فيدخل الشاب بعد لحظات ، بادى الشحوب ، والهزال — و « الكهولة » ! — وهو يخب فى سترته التى اتسعت من فرط نحوله . وتخرج « روث » من الغرفة لتترك الرجلين يتفاوضان ، فيأخذ فولدر فى خجل يد كوكسون الممدودة إليه ، ويقول إنه بات ثلاث ليال فى الحدائق العامة ، فى العراء .. « والناس هناك لا يتعرضون للإنسان بأذى ، لكنهم يعاملونه مع ذلك بازدراء ، وهذا الشعور هو الذى سحقنى سحقا ! » .

ويدخل المحاميان صاحبا المكتب ، فيختبئ « فولدر » فى غرفة مجاورة ، بينما يتصدى الباشكاتب للتوسط له لديهما .. حتى يقبل المحامى الأب فى النهاية أن يعيد فولدر إلى عمله فى المكتب ، بشرط أن يقطع

صلته بتلك المرأة ! لكن فولدر يصر على أن « روث » تمثل فى نظره كل ما عاش من أجله ، وأنه لم يهتد إلى مكانها إلا ليلة أمس فقط ، وهو على ثقة من أنها لا يعوزها غير المال كى تتحرر من زوجها نهائيا !

وهنا يبدى المحامى الابن استعداده لمساعدتها فى الحصول على الطلاق من زوجها .. لكن كوكسون ينتهز فرصة ابتعاد « فولدر » ناحية النافذة ويهمس للمحاميين بأن « روث » لم تعد مقيمة على وفائها لفولدر ، بعد أن اضطرتها الظروف إلى مصادقة رئيسها !

ويستدعيها المحامى الأب ، فيبتدرها فولدر فرحا بأن الطلاق بات الآن ممكنا .. لكن الأب يقاطعه فى حدة : « لست أعتقد أن هذا ممكن يا فولدر » ، ثم يصارح « روث » بوجوب أن يقطع فولدر كل علاقة بها .. ويسألها على الأثر فى لهجة ذات معنى : « أتفهمين ما أعنى ! » .. فتجيبه فى أسى وتعاسة : « نعم ، إنى أفعل ما فيه خيره » .. وفى هذه الأثناء يدرك فولدر آخر الأمر أن المرأة قد خانت عهده ، فيحجب وجهه بيديه يائسا !.. بينما يرق له المحامى الأب بعض الشىء ، فيخاطبه : حسنا ، سأعطيك الفرصة التى طلبتها يا فولدر .. فلا تطلعانى على ما سوف تكون عليه علاقتكما فى المستقبل ! » .

ويسمع طرق على الباب ، فتدلف روث إلى حجـرة مجاورة .. أما فولدر ـــ الذى كان قد تراجع مجفلا عن مصافحة يدها التى مدتها إليه فى خجل ـــ فإنه يتبعها الآن إلى الحجرة المجاورة ، حيث نراه يمسك بكتفيها ، قبل أن يغلق الباب فيحجبهما عن أنظارنا ..

أما الزائر الذى طرق الباب ، فهو مخبر من رجال البوليس السرى ، جاء يبحث عن فولدر من أجل تهمتين : الأولى أنه لم يواظب على تقديم نفسه للبوليس بانتظام منذ خرج من سجنه ، كما يقضى عليه القانون .. والتهمة الثانية أنه حين تقدم أخيرا ليلتحق بأحد الأعمال ، زور فى طلب الالتحاق اسم أحد الأشخاص — بعد أن ضاقت به السبل — مستشهدا به على حسن سيره وسلوكه !

ويحاول المحاميان والباشكاتب أن يحموا « فولدر » من هذه الكارثة الجديدة ويتستروا عليه ، بإخفائه عن عين الشرطى .. لكن هذا يلمح قبعة المتهم على مقعد ، فيتجه إلى الباب الفاصل بين الحجرتين ، ويدخل منه .. ثم يخرج بعد حين فى هدوء ، ومعه فولدر .. ويتبع الشاب سجانه متثاقلا ، نحو السلم .

ونسمع صوت ارتطام جسم ثقيل .. ثم يعود المخبر بعد دقائق ، حاملا



« فولدر » بين ذراعيه . لقد ألقى التعس بنفسه إلى أسفل السلم .. فدق عنقه !

وتفيق « روث » من إغماءتها ، لتركع بجوار جثة حبيبها ، وهى تدلله باكية بأرق العبارات .. وفيما هى تحدق فى الجثة ملتاعة، يتمتم كوكسون فى أسى : « لن يستطيع إنسان أن يمسه بأذى بعد الآن .. مطلقا .. فلقد بات آمنا ، فى رحاب السماء ! » .

المؤلف

(١٦٠٦ ــ ١٦٨٤)

● « بيير كورنْى » هو أبو المسرح الفرنسى غير منازع .. فقد تناول المسرحيات الجامدة المتخلفة عن العصور الوسطى فبعث فيها أنفاس الحياة !.. وقد بدأ محاولاته الأولى فى ميدان الكوميديا الهزلية ، فكتب من هذا اللون : « كليتاندر » ، « الأرملة » ، « الميدان الملكى » ، « التابعة » .. لكنه لم يصادف فى ميدان الملهاة النجاح المنشود ، فأدلى بدلوه فى ميدان المأساة بمسرحية عنوانها « ميديا » كتبها فى سنة ١٦٣٥ ، وقد ظفرت بالنجاح من أول لحظة .. ثم أعقبها فى العام التالى بمأساته الخالدة هذه : « السيد » ، (وكلمة « سيد » CID كلمة أسبانية معناها « البطل » ، لكنها تنطق هكذا بجميع اللغات ، كأسماء الأعلام) .. وهذه المسرحية من الدرامات الخالدة التى تعتبر بداية عهد جديد فى تاريخ المسرح ــ إذ كانت بمثابة البعث للتراجيديا الكلاسيكية الفرنسية ــ لكنها ، ككل جديد ، قوبلت من النقاد لدى ظهورها بموجة قاسية من النقد !.. بينما انبرى للدفاع عنها بحرارة ، من الناحية الأخرى ، فريق من الأدباء وأهل الفن الذين يمثلون العناصر التقدمية .. وهكذا نشبت بين الفريقين بشأن المسرحية معركة حامية الوطيس ، سلاحها القلم

واللسان .. فلما هدأ غبار المعركة برزت المسرحية لتحتل مكانها الخالد بين روائع المسرح الكلاسيكى الفرنسى ..

وقد كان « كورنْى » يستهدف فى كتابه مآسيه هدفين ، أو بالأحرى هدفا مزدوجا : أن يرد للمسرح حيويته القديمة ، ويذكى الروح الوطنية فى بلده .. وقد أفلح فى بلوغ كلا الهدفين ، فجاءت مسرحياته أكثر حيوية من الحياة نفسها ، وشخصياتها أطيب خلقا وعنصرا من بنى البشر ! .. نساؤها يملكن خصائص الرجال ، ورجالها يملكن شجاعة الإنسان الأسمى !.. وقد كان « كورنْى » يعرف هذا « العيب » فى مسرحياته ، لكنه التمس لنفسه العذر برغبته فى ضرب المثل الخلقية السامية ، « فلكى تصلح الرجال وتجعل منهم أشخاصا أبرارا ، ينبغى أن تضرب لهم أمثلة أطيب من الطيبة ! » .

والآن ، تعال معى نستمتع بمسرحيته الخالدة : « السيد » :

١

● **تبدأ** المسرحية فإذا نحن نعلم من الحوار الذى يدور بين أشخاص الفصل الأول أن الحسناء « شيمين » ، ابنة الكونت « جوميز » ، مدلهة فى غرام الشاب « رودريك » ، ابن النبيل « دييجو » .. فى الوقت الذى يعلق بحب رودريك قلب فتاة أخرى ، هى « أوراك » أميرة « كاستيل » — قسطلة — .. لكن هذه تعلم بمدى استحالة خلط دمها « الملكى » الأزرق بدم فارس عادى « من

الشعب » ! ومن ثم فهى قد قنعت بأن تقف موقف « المتفرجة » على المباراة المحتدمة بين « شيمين » ومعشوقها « رودريك » .. بل إنها تهمس إلى مربيتها « لينورا » بالقول : « إن ارتباط حياتيهما سوف يثير فىّ شعورا هو مزيج من الفرح والألم ! » .



لكن الهوى الصادق المشتعل فى قلبى كل من « شيمين » و « رودريك » لا يسير فوق أرض ممهدة ، فإن هناك منافسة سياسية محتدمة بين أبويهما : فقد كان الكونت « جوميز » — والد الفتاة — فى مركز جعله يطمع فى أن يعين معلما خاصا لولى العهد ، فإذا المنصب يعطى لغريمه « دييجو » !.. وإذ احتدم الغيظ فى قلب الكونت جوميز لفوز خصمه بالمغنم الذى كان هو يحلم به ، عجز عن أن يملك زمام أعصابه فصفع « دييجو » على وجهه !.. وتحداه هذا للمبارزة .. لكنه أبى — فى ترفع — أن يقبل النزال ، قائلا لخصمه : « إنكَ أوهن شيخوخة

من أن تنازل خصما عريقا فى حمل السيف مثلى .. وليس من شيمتى أن أشهر سيفى ضد خصم غير جدير بمنازلتى ! » .

وينهار « دييجو » تحت وقر الأهانة ، فيناشد ابنه « رودريك » أن ينتقم لشرفه .. وهنا يجد الابن نفسه نهبا موزعا بين عاطفتين جبارتين : واجبة نحو أبيه ، وحبه لحسنائه « شيمين » ، ابنة عدو والده اللدود !.. فنسمعه يحدث نفسه وقد مزقته الحيرة : « إن الشرف يلهب قلبى ويغريه بالانتقام لأبى .. والهوى يشل يدى ويعوقها .. وسواء تبعت نداء الواحد منهما أو الآخر ، فإن التعاسة تلاحقنى دون رحمة ! » .

* * *

● **غير أن** « حاسة » الشرف تتغلب فيه ، فى النهاية .. فيتحدى الكونت للمبارزة ، ويقتله !.. لكنه ، نتيجة لهذه الفعلة ، يكسب كراهية « شيمين » له ، واستياء الملك منه ! فإن الكونت كان محاربا قوى الشكيمة ، حرام أن يفقده الوطن فى مبارزة تافهة .. سيما وأن المغاربة يهددون البلاد ، ولم يبق — بعد مصرع الكونت — ثمة قائد يأخذ مكانه فى القتال ضدهم .. ثم ها هى « شيمين » تتهم « رودريك » ، أمام الملك ، بقتل أبيها .. فإنها هى الأخرى ، مثل رودريك ، قد أشعل قلبها إحساسها بالواجب البنوى . إنها تشعر بحافز قوى يدفعها دفعا إلى الانتقام لمصرع أبيها .. وهى تهتف بالملك : « العدالة يا مولاى ، العدالة ! فلتعاقب قحة هذا الغر المتهور ! » .

لكن والد رودريك — دييجو — يهرع إلى الملك ليلتمس منه الصفح عن ابنه : « سامحه ، يا مولاى ، فإنه إنما انتقم لشرف أب أهين !.. وإذا

كان ثمة من يستحق العقاب ، فهو أنا.عاقبنى أنا ! فلئن كانت يد ابنى التى قتلت ، فقد كانت الإرادة إرادتى ! » .

.. لكن الملك يجيبه فى روية : « هذه مسألة خطيرة ، ينبغى أن أتشاور فى شأنها مع مجلس وزرائى بكامل هيئته .. وأيا كانت النتيجة ، فلا بد أن تأخذ العدالة مجراها ! » .

٢

● **ويجيء** رودريك إلى دار شيمين ليتلقى عقابه على يديها : « إنه لأقسى عندى من الموت أن أعلم أنها تمقتنى .. فلتقتلنى بيدها ، انتقاما لمصرع أبيها ، كما قتلت أنا أباها لأنتقم لأبى ! » .

وتصر شيمين ، بدورها ، على أن رودريك يجب أن يموت .. فإن مذهب أهل (قسطلة) فى فهم مدلول الشرف يقتضى عينا بعين ، وسنا بسن ، وموتا بموت ! إنها الآن تمقت رودريك ، لكنها مع ذلك لا تزال تحبه .. « إن حبيبى وعدوى .. شخص واحد ! » .

ويناشدها رودريك :

رودريك : إنى أهبك حياتى ، كفارة لذكرى أبيك !

شيمين : إن قوتى ينبغى أن تضارع قوتك .. يجب أن أثبت — مثلك — شجاعتى فى الانتقام لأبى .. فإذا تركتك تعيش ، فسوف تكرهنى لجبنى ! وموتك وحده الذى أستطيع به أن أثبت جدارتى بحبك !

رودريك: إنه لموت عذب ، ذلك الذى يأتى من يدك العزيزة !..

لكنها لا تأنس من قلبها القدرة على أن تضرب حبيبها ، الضربة القاضية !.. فتناشده مستضعفة :

شيمين : امض فاختبئ من غضب الملك ، واتركني لعارى ..
فإن حياتك لأغلى عندى من شرفى !.. اذهب !. إن
حياتى ملك يمينك ، وسوف تنتهى بأمرك !..

ويتركها ، ولكن لا ليختبئ .. وإنما ليضع نفسه — على العكس — على رأس الجيش الأسبانى الذى يواجه غزو المغاربة .. إنه سيأخذ مكان الكونت القتيل.. وإنه لعلى استعداد لأن يلقى موتا كريما، أو يحرز نصرا مجيدا!

٣

● **ويكلل** « رودريك » هامته بالنصر على المغاربة .. وإذ يستدعيه الملك إلى القصر ، يقف الشاب فى حضرته ليبرر اشتراكه فى المعركة دون إذن من الملك :

رودريك: لقد أشفقت من أن أقود الجيش بغير علمك
يا مولاى ، لكنى لم أجرؤ على أن آتى لأسألك
موافقتك .. فلتغفر لى تهورى ، فلقد آثرت أن أموت
فى الميدان ، فى خدمتك ، على أن أموت فى السجن ، بينما
رفاقى يحملون السلاح !.

الملك : إن إنقاذ وطننا لهو خير دفاع عن تصرفك .. ومنذ الآن،
خلعت عليك لقب «السيد»، بطل «كاستيل».. أما بصدد
قتلك والد « شيمين » ، فقد منحتك عنه عفوا كاملا !

لكن « شيمين » ليست راغبة الآن فى الصفح .. فإن إحساسها بالشرف كما يفهمه أهل كاستيل ، قد عاد فثلم حدة حبها .. فجاءت تناشد الملك من جديد أن يجهز على رودريك !

الملك : يا طفلتى ، إن العدالة قد أخذت حقها .. فلقد كان والدك البادئ بالعدوان ، وليس « رودريك » . فلنعالج العدالة بالرحمة .. دعى رودريك يعيش !

شيمين : ما دام الملك لن يساعدنى على الانتقام لشرفى ، فإنى أناشد النبلاء أن يفعلوا . فمن منكم ينازل رودريك نيابة عنى ؟.. لسوف أتزوج الرجل الذى يأتينى برأسه !

الملك : لن أسمح بإحياء هذه العادة العتيقة .. فإنها قد سلبت وطننا أقوى فرسانه . وإن حياة رودريك لأثمن من أن تترك فريسة لنزوة عابرة من نزوات القدر !

.. على أن والد رودريك — على العكس — يعزز طلب « شيمين » ، ويشد من أزرها .. « إن العدالة تقتضى رودريك أن يدفع لها دينها ، فى ساحة الشرف! ».

الملك : ما دمت تطلب ذلك ، فليكن ما تطلبه .. من منكم يتصدى للأخذ بناصر هذه السيدة ؟

سانكو : (**أحد شبان الحاشية**) بحكم تهورى المشهود به ، أقدم على منازلة النبيل « سيد » .. (**مخاطبا « شيمين »**) : سيدتى ، إنى أقاتل فى سبيل الفوز بجائزة جديرة بالصراع من أجلها .. فإذا خسرت ، فسوف أستقبل الموت مرحبا .. أما إذا ربحت ، فسآتى لأطالبك بالوفاء بما وعدت به !

الملك : أى رجل يربح الرهان ، سوف يظفر بيد السيدة !

٤

● **على أن** شيمين ما تزال نهبا لصراع رهيب بين واجبها ، وحبها !.. وقد جاء رودريك يتزود منها بالوداع الأخير .

رودريك: سيدتى ، إنى أمضى إلى حتفى .. ولكنى قبل أن أموت ، أحييك !

شيمين : لماذا ينبغى أن تموت ؟

رودريك: كى أروى كراهيتك ، بحياتى !.. إن بطلك الصنديد سوف يجدنى فريسة سهلة .. سأعرض نفسى لهجماته ، ولا أدافع عن حياتى .. فلسوف أحس أن يدك هى التى تقبض على سيف سانكو ، وتسدده !

شيمين : ذلك يكون جبنا منك ! ماذا !؟ أوَ تسمح لقاهر أبى بأن يقهره هذا المدعى العاجز ؟

رودريك: لقد أثبت شجاعتى بالفعل ، بقتالى للمغاربة .. وإنى لعلى استعداد الآن لأن أثبت حبى ، بالموت من أجلك .. لقد فقدت حبك كى أنقذ شرفى .. وسوف أفقد الآن حياتى ، كى أسترد حبك !

شيمين : بل فلتعش ، يا رودريك ، وتنقذنى من أحضان « سانكو » !.. اذهب فنازله ، كى تساعدنى على أن أفى

بواجبى نحو أبى .. ولكن فلتحرص على أن تتصدى لغريمك بدفاع ظافر .. وعندما تعود ، وإذا كان قلبك ما يزال يخفق حبا لعزيزتك التعسة « شيمين » ، فمن يدرى ؟.. هيا ، اغفر لى هذا الاعتراف المتضرج بالحياء .. واذهب !

رودريك: من يستطيع الآن أن يهزمنى ؟ هيا تعالوا يا فرسان « كاستيل » ، و « نافار » ، و « مراكش » ، يا زهرة الأسبان .. إن سيفى بمفرده سوف يغلب قوتكم مجتمعة !.. سأسترد شرفى وحبى معا ، من جديد .. وسوف أحارب العالم أجمع ، وأنتصر .. من أجل حبيبتى « شيمين » !

٥

● **وتنتظر** « شيمين » فى لهفة وقلق نتيجة المبارزة .. « إن فاز رودريك ، صرت زوجة لقاتل أبى !.. وإن فاز « سانكو » ، صرت زوجة لقاتل حبيبى !.. إن انتصار أيهما سوف يجلب لى زوجا ملطخا بدم حبيب لدى ! » .

.. ويدخل « سانكو » ! لقد انتهت المبارزة .. ويقدم لها سيفه .

شيمين : ماذا! يقطر بدم حبيبى؟ كيف تجرؤ على أن ترينى وجهك ؟

سانكو : ولكن أصغى إلىّ ، أتوسل إليك !

شيمين : كلا ، لن أصغى إلى قصتك التى تتباهى بها عن جريمة قتل !

(**يدخل الملك ، ووالد رودريك**) :

شيمين : سيدى ، لن أخفى عواطفى بعد الآن . لقد كنت أحبه !..
وها هو قد لقى حتفه ، قتل غيلة بأمر منى !

دييجو : الآن وقد كفت عن أن تخجل مــن حبها ، تحدث إليها يا مولاى .

الملك : إن رودريك لم يمت . لقد جاءك « سانكو » بنبأ زائف !

سانكو : مولاى ، إنها لم تدع لى فرصة للكلام. لقد جئت لأقص كيف أن النبيل « سيد » ، بعد أن انتزع سلاحى منى فى المبارزة ، تكرم بإعادته إلى فى شهامة ورجانى أن أضعه كغنيمة عند قدميها ..

الملك : أى طفلتى ، لقد استرددت شرفك ، وآن لك أن تنعمى بحبك ..

.. وتدخل الأميرة ورودريك . إن الأميرة ما تزال تعشقه !.. والآن وقد ظفر بلقب « السيد » النبيل ، سقطت الحوائل الاجتماعية التى كانت تفصل بينهما ، فصار فى استطاعتها الزواج منه إذا أرادت !.. ولكن ، مرة أخرى ، يتغلب وفاؤها لشيمين على حبها لرودريك .. فتجمع شمل الاثنين !

الأميرة : كفى عن البكاء أى شيمين ، وتقبلى هذا المحارب الباسل من يد أميرتك .

شيمين : (**تبتسم لرودريك**) إنى أتقبل الحكم الصادر لى . إنه أمر ملكى ، ينبغى أن أطيعه !

الملك : فلننتظر عاما قبل الزفاف .. فإن الزمن يشفى من كل شىء ، ويطفئ كل أسى .. سوف تجفف شيمين دموع حزنها على أبيها ، وأنت سوف تعصف بالمغاربة لتحقق مجد وطنك .. فليكن اسم « السيد » مصدر فزع للأعداء ، وحب شيمين إلهاما ووحيا لأصدقائك ..

رودريك: أشكر لجلالتك كلماتك الرقيقة ، ولسوف أفعل أقصى ما أستطيع كى أكون جديرا بها !.. بذراع من حديد ، وقلب من لهب ، أقترن بحبيبتى ، وأظفر بالمجد لبلادى ..

(ستار)

المؤلف

(١٨٦٧ ـــ ١٩٣٦)

● « لويجى بيراندللو » مؤلف هذه المسرحية ـــ واسمها الأصلى « ست شخصيات تبحث عن مؤلف » ـــ من عباقرة المسرح المعدودين فى العصر الحديث ، وإن كانت عبقريته قد نضجت فى سن متأخرة . ولد فى صقلية ، وحين بلغ طور الشباب رحل إلى روما حيث اشتغل مدرسا فى إحدى المدارس العالية للبنات ، لكنه عكف فى أوقات فراغه على التعمق فى دراسة الأدب ، حتى خرج من دراسته بفلسفة خاصة تتلخص فى عبارة واحدة هى « أن الحياة مهزلة محزنة ! » .. وعند بلوغه سن الخمسين قرر أن يترجم فلسفته الساخرة إلى مسرحيات خلابة ، كتب أولاها فى سنة ١٩١٧ .. وسرعان ما أصبح المعلم المغمور ، بين عشية وضحاها ، مؤلفا مسرحيا ذائع الصيت ، يمزج حكمة سقراط بالفكاهة المستملحة ، ويمتاز ، بالأفكار الغريبة والعقد المبتكرة ، مما رفعه إلى مصاف الأدباء العالميين .. ورغم أنه بدأ حياته الأدبية فى تلك السن المتأخرة ، فإنه أنتج عشرات من الدرر المسرحية والقصص الطويلة والقصيرة التى من أشهرها هذه المسرحية التى أقدمها لك فيما يلى :

١

● **عندما** يخلق المؤلف فى قصة من قصصه شخصية ما ، هل يستطيع التحكم فى أفكار هذه الشخصية والسيطرة على تصرفاتها وأفعالها ؟.. أم تستقل الشخصية بنفسها فتفكر كما يحلو لها وتفعل أشياء لم تخطر على بال مؤلفها ؟

.. أو بعبارة أخرى : هل يصبح المؤلف سيد شخصياته ، أو تصبح الشخصية سيدة مؤلفها ؟

ترفع الستار عن الفصل الأول ، فإذا فرقة تمثيلية منشغلة بإجراء تجارب مسرحية فكاهية .. ثم يقطع « البروفة » دخول ست شخصيات هى : الأب .. والأم .. وابنة الزوجة .. والابن .. والصبى .. والطفلة .. وقد جاءوا جميعا يبحثون عن مؤلف يدمجهم فى رواية محبوكة :

الأب : (**إلى مدير المسرح**) إننا نحمل فى أشخاصنا قصة دراما رائعة .. أعطنا مؤلفا ، نعطك ثروة !

المدير : لكن هذا يبدو أمرا جنونيا ..

الأب : إنه بالفعل كذلك ، لكن كل دراما جنون .. إنها تجعل الحياة وهما ، والوهمَ شبيها بالحياة .. فهل هناك جنون أكثر من هذا ؟ .

ابنة الزوجة: أوجد لنا مؤلفا يا سيدى . نحن جماعة من الشخصيات

الجذابة ، خذلنا المؤلف الذى خلقنا فتركنا فى منتصف الرواية !



الأب : ونحن نبحث الآن عن مؤلف يتم روايتنا ..

المدير : ولكن لا يوجد هنا مؤلف ..

الأب : إذن لماذا لا تحاول أنت أن تكون مؤلفنا ؟

المدير : هراء .. ولكن قولوا لى ، ما هى الصلة بينكم ؟

الأب : (**مشيرا إلى الأم**) هذه المرأة زوجتى ..

المدير : إذن فلماذا تلبس ثوبا أسود ؟

الأب : لأنها أرملة .

المدير : ماذا تقول ؟ ألست أنت زوجها ؟

الأب : إنها ترتدى الحداد على عشيقها ، وهذه هى مأساتها !

ابنة الزوجة: نعم هذه هى مأساتها ، ومأساتنا نحن .. وهذا الشخص (**مشيرة إلى الابن**) هو ابنها الشرعى الوحيد .. أما بقيتنا

(**تشير إلى نفسها وإلى الصبى والطفلة**) فنسلهـا غير الشرعي .. والدنا كان عشيقها !

الأم : وهو الآن قد مات ..

الأب : بينما عادت الأم — أقصد زوجتي — إلى بيتي تجر أطفالها غير الشرعيين .

الابن : وأنا لا أريدهم هنا . لا أريد أن تدخلوني فى هذه الرواية .

الأب : أوه ، إنك قد خلقت وانتهى الأمر ، ولا مفر من بقائك معنا سواء أردت أم لم ترد !

الابن : إن الأمر كله يدعو إلى الاشمئزاز ..

ابنة الزوجة: وخاصة ذلك الحادث الذى وقع فى بيت « مدام بيس » ذى السمعة المريبة !

الابن : حيث حاول أبى أن يدفع لك (**مشيرا إلى ابنة الزوجة — أخته**) المائة ليرة !

الأم : يا للعار .. ابنتي .. يا للعار !

المدير : لست أفهم شيئا ..

الأب : دعني أحاول إيضاح الأمر لك . كان يعمل فى مكتبى موظف ما ، لم يلبث أن وقع فى هوى زوجتي ، وبادلته هى الحب .. ففصلته من خدمتى ..

الأم : ثم طردنى أنا من البيت ..

الأب : عن جدارة واستحقاق . لقد طردتها من البيت كى تغدو حرة فى الذهاب مع حبيبها . إن وقارى لم ..

ابنة الزوجة: لا تضحكني بالحديث عن وقارك .. أنت الذى كنت دائم التردد على بيت « مدام بيس » !

الأب : (للمدير) هذا الذى تقوله هى صحيح .. لكنه إنما يثبت أننى إنسان من البشر .. شخص حى ، لا شخصية خيالية من شخصيات القصص .. بغير روح !

المدير : حسنا ، امض فى قصتك ..

الأب : ومن ثم ذهبت زوجتى وعشيقها إلى بلدة أخرى .. حيث أنجبا هؤلاء الأبناء الثلاثة .

ابنة الزوجة: وعندئذ .. عندما مات أبى ..

الأب : تعنين عشيق أمك ..

ابنة الزوجة: عندما مات أبى عدنا إلى هذه المدينة ، حيث كدنا نموت جوعا ..

الأب : لو أنهم أخبرونى أنهم فى فاقة لساعدتهم ..

الأم : لم أخبره لأنى لم أتوقع أن يعبأ بذلك ..

الأب : الأمر الذى يظهر إنك لم تفهمينى يوما على حقيقتى ..

ابنة الزوجة: وعندئذ ، لكى أنقذ الأسرة من الموت جوعا اضطررت للتردد على بيت مدام بيس !

الأم : مدام بيس هذه صانعة قبعات للطبقة الراقية ، تبيع قبعاتها للنساء المثريات ..

الأب : وتورد نساء للرجال الأثرياء !

الأم : وقد اشتغلت أنا بائعة عند مدام بيس ، وكنت أعتقد أن

ابنتى أيضا لم تكن تعمل عندها إلا بائعة قبعات !

المدير : (**بصبر نافد**) امضى فى قصتك .. أرجوك ..

الأب : وذات يوم قابلتها (**مشيرا إلى ابنة زوجته**) عند مدام بيس !

ابنة الزوجة: يا له من موقف « درامى » رائع !

الأب : ثم فاجأتنا الأم ..

ابنة الزوجة: (**فى خبث**) فى الموعد المناسب ..!

الأب : بل فى أسوأ وقت ! .. وبعد ذلك أخذت العائلة كلها معى ، حيث كفلت لهم بيتا ..

ابنة الزوجة: ليس بيتا ، بل مجرد مأوى .. فإن ابنه هذا صار ينظر إلينا كدخلاء ، جاءوا ليزعجوا المملكة « الشرعية » ! وإن تصرفه هذا غير المحتمل ، هو الذى أغرانى بأن أتحداه ، وأحالنى من ضيفة لأبيه إلى .. خليلة !

الابن : (**للمدير**) إنك يا سيدى تستطيع أن تفهم مركزى بسهولة .. إننى لا أمت إلى هذه الدراما بصلة .. فأتوسل إليك أن تدعنى خارج هذه الشبكة القذرة كلها ..

الأب : ولكننا لا نستطيع أن ندعك خارجها .. فأنت أهم وأقوى حلقة فى السلسلة كلها .. إن ترفعك وقسوة قلبك هما

اللذان سيؤديان بالمأساة إلى غايتها .. إنك تحتقر أمك وتشمئز من أختك وتضطهد الصبى والطفلة الصغيرين حتى تسبب فاجعة ..!

المدير : إن القصة قد بدأت تصير مثيرة وشائقة .. وفيها بذرة مسرحية لا بأس بها .

الأب : لماذا لا تجعل نفسك مؤلف هذه الدراما ؟

المدير : إنى لم أكن مؤلفا فى يوم من الأيام ..

الأب : إذن ابدأ الآن ، بهذه المسرحية .. سوف تكون مهمتك سهلة .. سنمثلها نحن منظرا منظرا ، وأنت تكتبها طبقا لما تراه أمامك ..

المدير : أعتقد أنها فكرة صائبة .. تعالوا إلى غرفة مكتبى أنتم الستة ، ولنر ما أستطيع فعله ..

٢

● **فإذا** كان الفصل الثانى فقد بدأ الستة يجرون تجارب الرواية ، وممثلو الفرقة أمامهم يحفظون الأدوار التى تمثل على الخشبة .. لكن « البروفة » تجيء أروع من الرواية ذاتها ، لأن الشخصيات الستة « يحسون » أدوارهم ، بينما ممثلو الفرقة يتخيلونها فقط !

الأب : (**وهو يراقب الممثلين**) لا ، لا .. هذا يخالف ما نشعر به

فى هذا الموقف .. إنى معجب بتمثيلكم ، سيداتى سادتى ، لكنكم لستم « حقيقيين » .. إنكم غيرنا نحن .

ابنة الزوجة: إنه محق . إنكم لا تفهموننا .. فمثلا حين التقيت أنا بهذا الرجل (**تشير إلى الأب**) فى بيت مدام بيس ، قلت له إنى أرتدى الحداد على أبى .. فبماذا تحسبونه أجاب ؟ قال لى : « فلنضع حدا لهذا الحداد .. دعينى أساعدك فى خلع هذا الثوب !» .

المدير : ما هذا .. أتريدون أن يحدث هياج بين النظارة وثورة فى المسرح ؟

ابنة الزوجة: لكنها الحقيقة المحضة !

المدير : الفنان الأصيل لا يذكر الحقيقة بحذافيرها .

ابنة الزوجة: (**ثائرة**) عليك أن ترسم شخصياتنا كما هى ، لا كما يريدنا المجتمع أن نكون !

المدير : كونى معقولة .. إن الكاتب المسرحى لا يستطيع أن يفضح كل أسرار شخصياته ، وإنما يجب أن ينتقى من بينها ما يصلح ، وأن يراعى شيئا من التحفظ ..

ابنة الزوجة: حسنا .. أقتل أدوارنا إذا شئت ، لكنك لن تستطيع أن تقتلنا نحن ، بعواطفنا ونزواتنا وعارنا وندمنا واشمئزازنا !.. استمر فى إخراج مشاهدك المصطنعة ، بضحكاتها الزائفة ودموعها المنافقة .. حاول أن تقلد موقفى حين أقبل هذا

الرجل ، وأنا مغمضة العينين ، تاركة رأسي يغوص فى صدره .. هكذا (**تمثل الدور**) .. وفجأة تدخل أمى فتصيح به ..

الأم : (**مندفعة نحوهما لتفرق بينهما**) ابنتى !.. دعهـا أيها الوحش .. ألا تعلم أنها ابنتى ؟

المدير : رائع !.. بديع !.. خير نهاية لهذا الفصل .

٣

● **فإذا** كان الفصل الثالث ، فقد تأهب الستة لإخراج الفصل الأخير من روايتهم .. وهو يجرى فى حديقة منزل الأب ، بعد أن انتقلت إليه الأم وأبناؤها الثلاثة .. برغم معارضة « الابن » !

المدير : فلنبدأ تمثيل هذا الفصل الآن .. ولنر مدى نجاحنا فى تحويل الخيال إلى حقيقة !

الأب : تقصد تحويل الحقيقة إلى خيال .. إننا أشخاص حقيقيون ، وأنتم الوهميون .. ومع ذلك فإن الشخصيات الحية تموت ، بينما شخصيات الروايات تعيش وتخلد !

المدير : هلا كففت عن فلسفتك وتركتنا نكمل الرواية ؟.. إنى لم أسمع من قبل بشخصية خيالية تخرج من دورها كى تلقى علينا خطبا وآراء لم يقصدها المؤلف ..

الأب : ذلك لأنك ما تزال مؤلفا هاويا .. بينما كل مؤلف عظيم يعلم أنه تحت رحمة شخصيات رواياته ، عليه أن يتبعهم حيثما ذهبوا !

المدير : إنك على حق ..

ابنة الزوجة: وماذا نفعل نحن الستة الآن ، بعد أن تركنا المؤلف الذى خلقنا فى نصف الرواية وأبى أن يتبعنا إلى النهاية ؟

الأب : الحل الوحيد الذى أمامنا أن ندع هذا المؤلف الهاوى يتم مغامراتنا ..

ابنة الزوجة: ويا لها من مغامرات مريرة !

الأب : انتبه جيدا ، وأنت ترى .

● **ويستأنف** الستة مأساة صلاتهم المتشابكة الغريبة حتى نهايتها المنطقية .. فنرى الأب والأم يحاولان تصفية النزاع القديم الذى كان بينهما ، وإيجاد نوع من « الانسجام » فى جو الأسرة .. أما ابنة الزوجة ، فهى ماضية فى موقف التحدى ! وأما الابن ، فهو ماض فى موقف القسوة التى لا تلين .. وأما أحق شخصيات الرواية بالشفقة والرثاء فهما الصبى والطفلة .. فإن الصبى يراقب تصرفات أفراد الأسرة الكبار بإدراك متزايد وفهم ينمو كل يوم .. وشيئا فشيئا ، تتأصل فى عقله جذور قرار رهيب ..

المدير : وماذا كان هذا القرار ؟

ابنة الزوجة: فلندع الابن يحدثنا عنه .. فهو المسئول عن ذلك .

الابن : دعونى وشأنى .. لا أريد أن أقول شيئا .. إن المؤلف الأصلى لم يرغب فى أن أتكلم .. لهذا أبى أن يضعنا فوق خشبة المسرح .

الأب : لكنك مطالب بالكلام .. يجب عليك أن تتم الرواية إلى نهايتها المريرة .. ولا يليق بك أن تنسحب ..

الابن : (**يتراجع**) أخشى أن تكون على صواب يا أبى .. على كل حال ، ليس هناك شىء كثير يقال .. كنت أتمشى فى الحديقة .. واقتربت من النافورة .. وإذا أنا ألمح الطفلة فى قلب الماء .. عدوت إليها مسرعا ، وكنت على وشك أن أقفز كى أنقذها ، حين رأيت الصبى واقفا ينظر إلى الماء — حيث أخته تغرق — بنظرة جامدة .. وعندئذ .. دوت فى الفضاء رصاصة بين الأشجار التى كان الصبى مختبئا بينها .. لقد انتحر ، ولحق بأخته !



الأم : (**فى لوعة**) أولادى .. النجدة !

المدير : (**يهرع إلى حيث رقد الصبى**) هل جرح ؟

أحد الممثلين: لقد مات !

ممثل آخر : لكن الأمر كله خيال .. إنه من خلق الإنسان .. مجرد تمثيل ...

المدير : تمثيل ؟ حقيقة ؟.. إنى لم أر فى حياتى مثل هذا !.. إلى الجحيم بالرواية كلها .. لقد أضعت يوما كاملا فى الاستماع إلى هؤلاء المجانين .. يوما كاملا !

(ستار)

حلمي مراد يقدم من كنوز كتب التراث

١ ـــ رسالة الغفران : وكتب أخرى

١ ـــ رسالة الغفران
٢ ـــ الكوميديا الإلهية
٣ ـــ جمهورية أفلاطون

٢ ـــ الأمير : وكتب أخرى

١ ـــ الأمـير
٢ ـــ يوتوبيا
٣ ـــ المدينة الفاضلة
٤ ـــ نظرية التطور
٥ ـــ أصل الإنسان

٣ ـــ العقد الاجتماعي : وكتب أخرى

١ ـــ العقد الاجتماعي
٢ ـــ الإلياذة
٣ ـــ الأوديسَّة
٤ ـــ إميـل

٤ ــ سالومي : ومسرحيات أخرى

١ ــ سالومى
٢ ــ المريض بالوهم
٣ ــ ترويض الزوج
٤ ــ سيرانو دى برجراك

٥ ــ جوكندا : ومسرحيات أخرى

١ ــ جوكندا
٢ ــ هرنانى
٣ ــ الحب الآثم
٤ ــ الجنس الآلى
٥ ــ سر سيدة القصر
٦ ــ الأم

٦ ــ مدرسة الأرامل : ومسرحيات أخرى

١ ــ جوديث
٢ ــ الهاربة من الفضيحة
٣ ــ رجل الأقدار
٤ ــ كاليجولا
٥ ــ مدرسة الأرامل

حلمى مراد يقدم من مكتبة الأعْلام

٧ ــ الكسندر دياس

١ ــ الكسندر دياس	(من أعلام الأدب)
٢ ــ لويس باستير	(من أعلام الطب)
٣ ــ تشايكوفسكى	(من أعلام الموسيقى)
٤ ــ مايكل أنجلو	(من أعلام الفن)
٥ ــ مختار	(من أعلام النحت)
٦ ــ نيتشة	(من أعلام الفلسفة)
٧ ــ ماركونى	(من أعلام الاختراع)

٨ ـــ مروحة الليدى وندرمير : ومسرحيات أخرى

١ ـــ مروحة الليدى وندرمير

٢ ـــ خطايا الحب

٣ ـــ عذراء الغابة

٤ ـــ العدالة

٥ ـــ البطل لوسيد

رقم الإيداع ٣١٨٦ / ١٩٩١
الترقيم الدولى X - 0652 - 11 - 977

حلمي مراد يقدم كنوز كتب التراث

١ ــ رسالة الغفران :

١ ــ رسالة الغفران
٢ ــ الكوميديا الإلهية
٣ ــ جمهورية أفلاطون

٢ ــ الأمير :

١ ــ الأمير
٢ ــ يوتوبيا
٣ ــ المدينة الفاضلة
٤ ــ نظرية التطور
٥ ــ أصل الإنسان

٣ ــ العقد الاجتماعي

١ ــ العقد الاجتماعي
٢ ــ الإلياذة
٣ ــ الأوديسة
٤ ــ إميل

٤ ــ سالومى

١ ــ سالومى
٢ ــ المريض بالوهم
٣ ــ ترويض الزوج
٤ ــ سيرانو دى برجراك

٥ ــ جيوكندا

١ ــ جيوكندا
٢ ــ هرنانى
٣ ــ الحب الآثم
٤ ــ الجنس الآلى
٥ ــ سر سيدة القصر
٦ ــ الأم

٦ ــ مدرسة الأرامل

١ ــ جوديث
٢ ــ المازبة من الفضيحة
٣ ــ رجل الأقدار
٤ ــ كاليجولا
٥ ــ مدرسة الأرامل

٧ ــ ألكسندر ديماس

١ ــ ألكسندر ديماس
٢ ــ لويس باستير
٣ ــ تشايكوفسكى
٤ ــ مايكل أنجلو
٥ ــ مختار
٦ ــ نيتشة
٧ ــ ماركونى

٨ ــ مروحة اللادى وندرمير

١ ــ مروحة اللادى وندرمير
٢ ــ خطايا الحب
٣ ــ عذراء الغابة
٤ ــ العدالة
٥ ــ البطل لوسيد
٦ ــ الحياة نفاق

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

الثمن ٢٠٠ قرش